جامعـــــة محـــمد بوضـــياف – المســـيلة –

كلية الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحروب في منظورات العلاقات الدولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في العلوم السياسية

تخصص : علاقات دولية

إعداد الطالب :

كمال بوغراب

إشراف :

أ.د. السعيد ملاح

أ.د. نورالدين دخان	رئيسا
أ.د. السعيد ملاح	مشرفا و مقررا
د. عبد النور منصوري	مناقشا

السنة الجامعية : 2024-2025

جامعـــــة محـــمد بوضـــياف – المســـيلة –

كلية الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحروب في منظورات العلاقات الدولية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في العلوم السياسية

تخصص : علاقات دولية

إعداد الطالب :

كمال بوغراب

إشراف :

أ.د. السعيد ملاح

أ.د. نورالدين دخان	رئيسا
أ.د. السعيد ملاح	مشرفا و مقررا
د. عبد النور منصوري	مناقشا

السنة الجامعية : 2024-2025

ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020 .....

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): بوغراب كمال ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث ماستر .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 205794185 والصادرة بتاريخ 2020-03-04 .....

المسجل(ة) بكلية / معهد الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: الأبعاد الاستراتيجية لأسباب الحروب في منظورات العلاقات الدولية .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2025.06.22

توقيع المعني (ة)

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــــكـر

الحمد لله حمدًا لا يُبلَغ مداه، ولا يُدرَك منتهاه، الحمد له على ما وفّق ويسّر، وألهم وأعان، حتى اكتمل هذا العمل بفضله وكرمه و منِّه.

أتوجّه بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور

السعيد ملاح

على ما قدّمه من توجيه علمي و دعم معنوي كان له الدور الأكبر في إخراج هذا العمل إلى النور.

كما أخص بالذكر و الشكر كل مكونات أسرة العلوم السياسية لجامعة المسيلة أساتذة و إداريين ، كل بإسمه و وسمه .

إهـــــــــداء

الى من في دعائهما زادي ، و في دعمهما إستنادي

إلى والديَّ الحبيبين

أهدي هذا الجهد المتواضع

عرفاناً بفضلكما، ووفاءً لحبكما الذي لا حدود له

الى من تقاسموا معي الطموح و كابدوا معي الجروح الى إخوتي و أخواتي

الى أشباهي و نُسخي في أجساد مختلفة ، الى أصدقائي

الى من تشاركوا معي هذا المسار العلمي ، الى زملائي و زميلاتي

الى زميلي و صديقي الذي رحل عنا بجسده وبقى بروحه

الى عمر غراب رحمه الله

مقدمة
الفصل الأول : الحدود المفاهيمية لأنطولوجيا الحرب
المبحث الأول :مفهوم الانطولوجيا
المطلب الأول :الانطولوجيا: دراسة في المصطلح و الجذور
المطلب الثاني : أنماط المقاربات الانطولوجية و علاقتها بالابستيمولوجيا
المبحث الثاني : مفهوم الحرب في أدبيات العلاقات الدولية
المطلب الأول :مفهوم الحرب في الفكر الوضعي
المطلب الثاني :مفهوم الحرب في الفكر مابعد الوضعي
الفصل الثاني :الدلالات الانطولوجية لظاهرة الحروب في المنظورات الوضعية
المبحث الاول : الانطولوجيا الواقعية: الصراع و الفوضى كجوهر الوجود الدولي
المطلب الاول : الانطولوجيا التشاؤمية للطبيعة البشرية في الواقعية الكلاسيكية
المطلب الثاني : الفوضى كحتمية انطولوجية في الواقعية الجديدة
المبحث الثاني : الانطولوجيا الليبرالية : التعاون بنية وجودية تحقق السلام
المطلب الاول : الفرد أساس الوجود السلمي في الليبرالية الكلاسيكية
المطلب الثاني :المؤسسات مرتكز أنطولوجيا السلم في الليبرالية الجديدة
الفصل الثالث : المضامين الانطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات مابعد الوضعية
المبحث الثالث :الأنطولوجيا النقدية :الحرب كنتيجة لهيمنة الأنساق واستدامة اللاعدالة
المطلب الأول : المطلب الأول :الأنطولوجيا التحررية للعقل التواصلي في النقدية المعيارية
المطلب الثاني :الأنطولوجيا البنيوية للهيمنة والصراع في النقدية النيوغرامشية
المبحث الثاني : الأنطولوجيا ما بعد الحداثية :الحرب كنتاج للمعرفة والتمثيل الخطابي
المطلب الأول :الحرب من منظور التفكيك الخطابي عند جاك دريدا
المطلب الثاني :جينيالوجيا السلطة والمعرفة وتشكيل أسباب الحروب عند ميشيل فوكو
الخاتمة

مقدمة

تعود نشأة العلاقات الدولية كتخصص أكاديمي مستقل في أوائل القرن العشرين ، و يُؤكد الكثير من العلماء من أمثال ستانلي هوفمان و بيتر ويلسون و غيرهم الكثير ، أن نشأة الحقل كانت استجابة فكرية و سياسية للحرب العالمية الأولى ، عبرت هذه الاستجابة عن طموح أخلاقي و معرفي يهدف تجنب تكرار الكارثة من خلال تحليل و فهم الديناميات التي تحكم سلوك الدول في النظام الدولي. فقد كشفت تلك الكوارث الإنسانية عن حدود المقاربات التقليدية، وأبرزت الحاجة إلى إطار نظري قادر على تفسير ومنع تكرار مثل تلك المآسي. ومن هنا، تأسس حقل العلاقات الدولية على قاعدة تحليل أسباب الحروب الكبرى، في محاولة لفهم منطق الحرب والسلم على المستوى الدولي.

غير أن تطوّر هذا الحقل لم يكن خطيًا أو أحادي المسار، و عرف تعددية نظرية كبيرة، حيث تبلورت عبر العقود مجموعة من المنظورات المختلفة – المتضاربة أحيانًا – في تفسير الظواهر الدولية، وأهمها الحرب. يعكس هذا التعدد النظري تطور المناهج والمفاهيم، و الذي يشير بدوره إلى اختلافات أعمق على المستوى الأنطولوجي، تتعلّق بكيفية تصور الواقع الدولي نفسه، فبينما يرى بعض المنظّرين العالم كواقع موضوعي وثابت يمكن تحليله عبر قوانين سببية، ينظر آخرون إلى هذا "الواقع" بوصفه نتاجًا تاريخيًا ولغويًا، مشكلاً بفعل الخطابات والهويات والعلاقات السلطوية.

وبهذا المعنى، فإننا و ان كنا نقف أمام واقع دولي واحد فإن الأطر النظرية لحقل العلاقات الدولية تُقدَّم له تفسيرات مختلفة، تعكس منطلقات فلسفية ومنهجية متباينة، وتؤدي إلى تفسيرات متمايزة لأسباب الحروب. ومن هنا فإن أي دراسة جادة تهدف الى تحليل أسباب ظاهرة الحرب في المنظورت النظرية لحقل العلاقات الدولية ، وجب أن تنطلق ليس المشكلة الأنطولوجية التي تعكس طريقة كل نظرية في تصور طبيعة الفاعلين الدوليين، وبنية النظام الدولي، والعلاقات التي تنتج العنف والصراع.

أولا /-أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من سعيها إلى تجاوز المستوى الوصفي أو التقريري لتحليل أسباب الحروب، وذلك عبر الغوص في البُعد الأنطولوجي الكامن خلف كل منظور نظري. فهي تحاول الكشف عن الافتراضات الأساسية التي تُبنى عليها التفسيرات النظرية للحرب، ومساءلة حدودها المعرفية والمنهجية، بما يسمح بفهم أعمق للرهانات الفلسفية الكامنة في تحليل الظاهرة.

أ/-الأهمية العلمية:

- سد ثغرة معرفية: التركيز على البعد الأنطولوجي كعامل مفسر لأسباب الحرب يمثل مقاربة عميقة نسبياً مقارنة بالدراسات الوصفية أو التي تركز فقط على المستوى الإبستيمولوجي أو المادي.
- تعميق الحوار النظري: تساهم في الحوار الدائر بين المنظورات الوضعية وما بعد الوضعية داخل حقل العلاقات الدولية حول طبيعة الواقع الدولي وأسباب الصراع.
- إثراء المنهجية: توظيف التحليل الأنطولوجي يقدم أدوات تحليلية جديدة لفك تشابك العوامل المادية والمعيارية المولدة للحرب.

ب /-الأهمية العملية:

- فهم أعمق للنزاعات: تقديم تحليلات أكثر دقة لجذور الصراعات المعاصرة يتجاوز السطحية، مما يساعد في تشخيص المشكلات بدقة أكبر.
- توجيه السياسات الوقائية: قد تكشف الافتراضات الأنطولوجية الكامنة عن نقاط عمياء في سياسات منع الصراعات أو إدارتها، مما يساهم في تطوير آليات أكثر فعالية.
- نقد الذهنية الاستراتيجية: تسليط الضوء على كيف تشكل الافتراضات حول الواقع (كالفردية أو الصراع الحتمي) الاستراتيجيات التي قد تؤدي بدورها إلى نشوب الحروب.

ثانيا/-أهداف الدراسة :

تتمثل الأهداف الدراسة اجمالا في تفكيك التصورات الأنطولوجية التي تتبناها النظريات الوضعية وما بعد الوضعية حول الحرب، وتحليل أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، من أجل تعزيز الوعي النقدي لدى الباحثين والمهتمين بالعلاقات الدولية، عبر إبراز كيف تؤثر المسلمات الفلسفية للنظرية في تحديد ما يُعتبر "سببا للحرب"، وما يُستبعَد من التحليل أو يُقصى من دائرة التفكير.

أ/-الأهداف العلمية:

- الكشف عن الأسس والافتراضات الأنطولوجية الكامنة وراء تفسيرات أسباب الحرب في المنظورات النظرية الرئيسية في العلاقات الدولية (الواقعية، الليبرالية، البنائية، النظرية النقدية، ما بعد البنيوية).
- تحليل العلاقة الجدلية بين هذه الافتراضات الأنطولوجية (حول طبيعة الفواعل، البنية، الهوية، المعرفة، الزمن...) والسبل النظرية المتبناة لفهم أسباب الحرب في كل منظور.
- تقييم إسهام وحدود كل منظور أنطولوجي في تفسير تعقيدات أسباب الحرب.

ب /-الأهداف العملية:

- تقديم إطار تحليلي يساعد في نزع الطابع الحتمي عن بعض التفسيرات الشائعة لأسباب الحرب.
- المساهمة في تطوير رؤى أكثر شمولية وتكاملاً لفهم الظروف المولدة للحرب، تفيد صانعي السياسات والباحثين.

ثالثا /-مبررات اختيار الموضوع:

أ/-المبررات الذاتية:

- ينبع الاهتمام بهذا الموضوع في الرغبة الشخصية لفهم أسباب إندلاع الحروب و تفسير الصراعات ، هذه الرغبة تعكس تساؤلات لازمتني منذ سن حدث نشأتُ فيه على واقع حرب أهلية داخلية من جهة و على روايات و دروس حرب التحرير من جهة أخرى ، و هذا ما يترجم مبررات اخياري لدراسة تخصص العلاقات الدولية في المقام الأول .
- إضافة الى ذلك شغفي العميق بالنظريات الفلسفية والاجتماعية و السياسية و النقاشات النظرية حول مختلف تصوراتها .
- أيضا قناعتي الشخصية بأن فهم جوهر أي ظاهرة ينطلق من الاسس الأنطولوجية التي تُشكل بها .

ب /-المبررات الموضوعية:

- الحاجة النظرية: غياب دراسات شاملة تربط بشكل منهجي بين الأنطولوجيا وتفسيرات أسباب الحرب عبر الطيف النظري الواسع للعلاقات الدولية.
- راهنية الموضوع: استمرار الحروب وتعدد أشكالها واشتداد تعقيدها يدفع لاستكشاف أسسها العميقة.
- تطور الحقل: أهمية "المنعطف الأنطولوجي" وتأثيره المتزايد على البحوث في العلاقات الدولية.

رابعا/-أدبيات الدراسة :

يُشكّل الإطار الأدبي للمذكرة دعامة أساسية لفهم الخلفيات النظرية والمعرفية التي تؤطر موضوع "الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحروب". وقد تم الاعتماد على مجموعة من المراجع الأساسية التي تمثّل تنوعًا منهجيًا ومعرفيًا في تناول الظاهرة، وتوفر زوايا تحليلية متعددة من داخل حقل العلاقات الدولية. وتكمن أهمية هذه الأدبيات المختارة في قدرتها على تقديم روافد نظرية صلبة تسهم في بناء رؤية تحليلية معمقة لطبيعة الحرب وتفسير أسبابها في ضوء المنظورات الأنطولوجية المختلفة. ومن بين أهم المراجع المعتمدة:

1-كتاب – Theories of International Relations :

تأليف Scott Burchill :وآخرون

أهم مرجع اعتمدت عليه هذه الدراسة، كتاب Theories of International Relations في طبعته الثالثة، لمجموعة من الباحثين: سكوت بورشيل، أندرو لينكليتر، ريتشارد ديفيتاك، جاك دونيلي، كريستيان ريوس-سميت، جاكي ترو وآخرين، والصادر عن دار Palgrave Macmillan سنة 2005 ، باللغة الإنجليزية .

يُعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات الاساسية في حقل العلاقات الدولية، ويقدّم عرضًا موسعًا وشاملًا لأهم النظريات الكلاسيكية والمعاصرة في العلاقات الدولية. يشمل فصولًا تحليلية تتناول الواقعية التقليدية، النيوليبرالية، الماركسية، النظرية البنائية، النقدية، النسوية، وما بعد الحداثة، مع تسليط الضوء على الخلفيات المعرفية والمنهجية لكل نظرية.

مثّل هذا المرجع الأساس النظري الأكثر شمولًا الذي اعتمدت عليه المذكرة لتأطير المنظورات المختلفة حول أسباب الحروب. فبالإضافة إلى تقديمه شرحًا مفصلًا لكل نظرية، فهو يُبرز الخلفية الأنطولوجية التي تقوم عليها كل مقاربة، مما يساعد في تتبع العلاقة بين بنية النظرية وفهمها لطبيعة الظواهر الدولية، وعلى رأسها موضوع البحث "الحرب". ومن خلاله، تم استقراء كيف تختلف الفرضيات الأنطولوجية من واقعية تشاؤمية إلى مقاربات بنائية ونقدية.

2- كتاب: المنازعات الدولية – مقدمة للنظرية والتاريخ

تأليف: جوزيف ناي

من بين المراجع النظرية الأساسية التي استفادت منها هذه الدراسة، كتاب جوزيف ناي المعنون "المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ"، ترجمه إلى العربية كلٌّ من أحمد أمين الجمل ومجدي كامل، وصدر عن الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، في طبعته الأولى سنة 1997. وهو ترجمة للنسخة الاصلية بعنوان

Understanding International Conflicts: An Introduction to Theory and History

يقدّم جوزيف ناي في هذا الكتاب قراءة تجمع بين المنظورين النظري والتاريخي لفهم طبيعة النزاعات الدولية. ينطلق من عرض للأطر النظرية الكلاسيكية والحديثة، لكنه يدمجها مع وقائع تاريخية ملموسة لتحليل أسباب النزاعات ومآلاتها، مما يضفي على الطرح طابعًا عمليًا ومقارنًا.

أسهم هذا الكتاب في دعم الجانب المفاهيمي المرتبط بأسباب الحروب، وخاصة من خلال الجمع بين البعد النظري والواقعي. كما أنّه يعرض بصورة غير مباشرة الأبعاد الأنطولوجية من خلال توضيح كيف تفترض النظريات المختلفة طبيعة العالم الدولي، ونمط العلاقات بين الفاعلين. يُعتبر مرجعًا مكمّلًا للمرجع الأول من حيث الربط بين النظرية والممارسة.

3- مقال: نظريات العلاقات الدولية والحرب – مراجعة للأدبيات

تأليف: أحمد محمد بوزيد

من بين أبرز المساهمات بالعربية التي قدّمت معالجة مباشرة لعلاقة نظريات العلاقات الدولية بالحرب، يبرز مقال **محمد أحمد أبوزيد** الموسوم "نظريات العلاقات الدولية والحرب: مراجعة للأدبيات"، والمنشور في العدد الأول من **مجلة الناقد للدراسات السياسية**، في أكتوبر 2017.

يقدّم هذا المقال مراجعة نقدية شاملة للأدبيات التي تناولت العلاقة بين نظريات العلاقات الدولية والحرب. يُركّز على كيفية تعامل كل نظرية مع مفهوم الحرب من حيث الأسباب والدوافع والبُنى المحيطة بها، مع إبراز الفجوات المعرفية أو الإشكالات المنهجية في كل مقاربة.

يُعد هذا المقال ذا أهمية خاصة في المذكرة، كونه يمثّل أرضية تحليلية تمهيدية لفهم كيفية معالجة الأدبيات لمفهوم الحرب ضمن مختلف التيارات. وقد ساعد في إبراز التمايز بين النظريات الوضعية والنقدية، من حيث التأسيس الأنطولوجي، وأثر ذلك على تفسير الظاهرة. كما وفّر أرضية لمقارنة توجهات النظريات المختلفة .

من خلال هذه الأدبيات، أمكن للمذكرة أن تبني منطقا معرفيًا يتتبع افتراضات مختلف المنظورات في حقل العلاقات الدولية و يحلل مقارباتها المتعددة. حيث أسهمت في تأطير الظاهرة المدروسة، و كشفت عن عمق التباين في التصورات حول ماهية الفاعلين، طبيعة النظام الدولي، وشروط إنتاج العنف والصراع. وقد ساعد هذا التنوع في الأدبيات على صياغة تصور نقدي شامل يسمح بإعادة قراءة أسباب الحروب خارج أنماط التفسير التقليدية.

بنت هذه المذكرة بالارتكاز على الأدبيات المعتمدة تصورا لا يكتفي بعرض أسباب الحروب كما توَّصفها بعض ادبيات العلاقات الدولية ، لتتجاوز ذلك نحو تحليل الأسس الأنطولوجية التي تقوم عليها هذه التفسيرات. فهي تُقدّم قراءة جديدة لسؤال الحرب من زاوية وجودية، مركّزة على كيفيات تشكّل مفاهيم مثل الفاعل، السلطة، والنظام الدولي داخل كل منظور نظري. ومن ثم، تساهم الدراسة في سدّ فجوة معرفية من خلال نقل النقاش من الطابع السببي إلى الطابع الأنطولوجي في فهم ظاهرة الحرب .

خامسا/- الإشكالية (المشكلة البحثية) :

أ/- الإشكالية الرئيسية :

تُعد الحرب من أكثر الظواهر السياسية تعقيدًا و تركيباً واستمرارية في النظام الدولي، وقد شكّلت محورًا مركزيًا في تطور نظريات العلاقات الدولية. وقد أدى كثافة و تعدد المقاربات التي سعت إلى دراسة الحروب، إلى تعدد التصورات و تباين تفسيراتها ، مما يدفع نحو البحث في الأسس الوجودية التي تُبنى عليها تصورات الحرب وأسبابها، لمحاولة في كيفية تشكّل الفهم النظري للحرب تبعًا لتصورات كل مقاربة عن طبيعة الواقع الدولي.

وفي هذا السياق، تبرز الحاجة إلى مساءلة الخلفيات الأنطولوجية التي تقوم عليها النظريات المختلفة في تفسير الحروب، والكشف عن الأبعاد العميقة التي تُؤسّس لهذه التفسيرات، وهو ما تقترح هذه الدراسة معالجته من خلال الإشكالية التالية:

كيف تفسّر النظريات الكبرى في العلاقات الدولية أسباب الحرب بناءً على تصوراتها الأنطولوجية؟

ب/- التساؤلات الفرعية :

و يتفرع عن الإشكالية الرئيسية التساؤلات الفرعية التالية :

1- ما الأطر المفاهيمية والفلسفية التي ينطلق منها مفهوم الأنطولوجيا في حقل العلاقات الدولية، وكيف تُسهم في تشكيل مفهوم الحرب؟
2- كيف تُفسّر النظريات الوضعية (الواقعية، الليبرالية) أسباب الحرب؟ وما هي الافتراضات الأنطولوجية التي تقوم عليها هذه التفسيرات؟
3- كيف تُفسّر المنظورات ما بعد الوضعية في العلاقات الدولية أسباب الحرب، وما هي الأسس الأنطولوجية البديلة التي تعتمدها لفهم الفاعل والعنف والنظام الدولي؟

سادسا /- حدود الدراسة :

تتحدّد حدود هذه الدراسة في ثلاثة مستويات: موضوعية، زمانية، ومكانية، وذلك بما يتماشى مع طبيعة الإشكالية المطروحة والمنهج التحليلي المتبع.

أ/-الحدود الموضوعية:

تركز الدراسة على تحليل أسباب الحروب كما تفسّرها النظريات الكبرى في حقل العلاقات الدولية، وذلك من خلال تفكيك الأسس الأنطولوجية التي تستند إليها كل نظرية في بناء تصوّرها عن الفاعل، والنظام الدولي، والعلاقات الصراعية. ولا تسعى الدراسة إلى تقديم تفسير مادي أو تاريخي للحروب بحد ذاتها، ولكن إلى تحليل البُنى النظرية التي تنتج هذه التفسيرات.

تقتصر الدراسة على تحليل الافتراضات الأنطولوجية الكامنة وراء تفسيرات أسباب الحرب، دون الخوض بشكل مفصل في الجوانب الإبستيمولوجية أو المنهجية إلا بالقدر الذي يخدم الإطار الأنطولوجي.

رغم سعي الدراسة لتغطية أبرز المنظورات في العلاقات الدولية (الوضعية وما بعد الوضعية)، إلا أنها تكتفي بأبرز النظريات الكبرى، إذ تستثني بعض التوجهات النظرية لغرض متطلبات نوع البحث و حجمه .

كما لا تتعمق الدراسة في تحليل حالات دراسية محددة للحروب، و تبقى في الإطار النظري .

ب/-الحدود الزمانية:

بما أن الدراسة ذات طابع نظري-فلسفي، فهي لا ترتبط بإطار زمني محدد للأحداث، إذ تنصرف إلى تحليل الخطابات النظرية كما تطوّرت منذ نشأة حقل العلاقات الدولية في مطلع القرن العشرين إلى غاية النظريات المعاصرة. ومع ذلك، فإنها تولي اهتمامًا خاصًا لتطور

النظريات بعد الحرب العالمية الثانية، حيث برزت بوضوح التمايزات بين الوضعية وما بعد الوضعية.

و تجدر الإشارة ان الدراسة لا تتناول التطور التاريخي للحروب نفسها، بل تكتفي بالتحليل النظري للمنظورات التي تبلورت منذ نشأة الحقل ،و مع هذا و لأغراض البحث تتطرق الدراسة بشكل مقتضب للتطور التاريخي لمفهوم الانطولوجيا منذ العهد اليوناني .

ج/-الحدود مكانية:

لا تتناول الدراسة حالات أو نزاعات حربية بعينها داخل مناطق جغرافية محددة، و انما تنطلق من الحقل النظري للعلاقات الدولية كحقل أكاديمي عالمي، يُنتج خطابًا معرفيًا يُطبّق على النطاق الدولي بوجه عام. وبالتالي، فإن التحليل يتم على مستوى النظرية المجردة وليس الواقع الجغرافي، و مع ذلك فقد وردت حالات-ناردة- ذات دلالة نظرية تم الاستُشهاد بها، لأغراض توضيحية ، وليس كتحليل مفصل لسياقها الإقليمي.

سابعا/- فرضيات الدراسة :

أ/- الفرضية الرئيسية :

للإجابة على المشكلة البحثية المطروحة ، تضع الدراسة الفرضية التالية :

تقوم تفسيرات النظريات الكبرى لأسباب الحرب على الأسس الأنطولوجية التي تتبناها، والتي تحدّد تصوراتها المادية أو الرمزية حول الفاعل، والنظام، ومصادر العنف .

ب/- الفرضيات الفرعية :

1- يعتمد الفهم النظري لأسباب الحرب بشكل حاسم على تحديد و ضبط المفاهيم الأنطولوجية الأساسية وطريقة انعكاسها على مفهوم ظاهرة الحرب .

2- تنطلق المنظورات الوضعية من أنطولوجيات تميل نحو الموضوعية والعلمية والفصل بين الذات والموضوع، مما يقودها إلى تفسير الحرب و السلام بشكل أساسي عبر عوامل مادية وهيكلية قابلة للملاحظة والقياس .

3- تؤكد المنظورات ما بعد الوضعية على أنطولوجيات للعلاقات الاجتماعية تشدد على البناء المشترك للواقع، وتداخل الذات والموضوع، وأهمية المعنى والهوية، مما يقودها إلى فهم تشكيل أسباب الحرب عبر تفاعل معقد بين العوامل المادية والمعيارية والهوياتية والخطابية المشكَّلة اجتماعياً .

ثامنا/- أدوات التحليل :

أ/- الاطار المنهجي :

1-**المنهج التحليلي-الاستنباطي**، بوصفه الأداة الرئيسة في معالجة الإشكالية النظرية المطروحة، حيث يُستخدم لتحليل البُنى الفلسفية الكامنة في النظريات الكبرى للعلاقات الدولية، واستنباط العلاقة بين التصورات الأنطولوجية التي تتبناها كل نظرية، والتفسير الذي تقدمه لأسباب الحرب. يسمح هذا المنهج بتفكيك المفاهيم المركزية (كالفاعل، النظام، والعنف) كما تُفهم داخل كل مقاربة، من أجل الكشف عن منطقها الداخلي ومنطلقها الوجودي.

2-**المنهج التاريخي**، ويُستخدم في تتبّع تطور المجهود النظري في حقل العلاقات الدولية، خاصة ما يتعلق بالسياقات التاريخية و السياسة التي أدت الى تبلور النظريات، كما استخدم المنهج التاريخي لتتبع تطور مفهوم الأنطولوجيا من فترة الفلسفات اليونانية إلى المرحلة المعاصرة. لذلك تم الاعتماد على هذا المنهج لما له من أهمية في ربط التحولات النظرية بسياقاتها التاريخية الكبرى .

ب/-الإطار النظري :

يرتكز هذا البحث على الإطار النظري لنظريات العلاقات الدولية باعتبارها المرجعية الأساسية في تحليل أسباب الحروب من زوايا متعددة. وينقسم هذا الإطار إلى تيارين رئيسيين:

من جهة أولى، المنظورات الوضعية التي تشمل الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة والليبرالية الكلاسيكية والنيوليبرالية، والتي تفترض وجود واقع دولي موضوعي يمكن تحليله باستخدام أدوات سببية، وتُركّز على عناصر مثل الدولة كفاعل مركزي، والمصلحة، وتوزيع القوة في النظام الدولي.

ومن جهة ثانية، المنظورات ما بعد الوضعية، والتي تشمل النظرية النقدية بتياريها المعياري و النيوغرامشي ، وما بعد الحداثة بقاربتي جاك دريدا و ميشال فوكو . وتتميز هذه المقاربات بإعادة مساءلة المفاهيم التقليدية للفاعل والعنف والسلطة، مع التركيز على الخطاب، والمعرفة، والهوية، بوصفها مكونات أنطولوجية تؤسس لفهم مختلف لأسباب الحروب.

ج/- الاطار المفاهيمي :

نظرًا للطبيعة النظرية والفلسفية لموضوع الدراسة، تكتسي المفاهيم دورًا محوريًا في بناء الإشكالية وتحليل المعطى النظري. وتتمحور هذه الدراسة حول مجموعة من المفاهيم المركزية، التي تمثل متغيرات تحليلية ضرورية لفهم العلاقة بين الأنطولوجيا وتفسير أسباب الحرب.

أولًا- المفاهيم الأساسية في الدراسة

1- **مفهوم الأنطولوجيا:** يُستخدم هنا للإشارة إلى التصورات النظرية حول طبيعة الواقع الدولي، وما يُعدّ فاعلًا أو بنية أو سببًا مؤثرًا في الظواهر السياسية، لا سيما الحرب. وتشمل الأنطولوجيا في هذا السياق: نظرة النظرية إلى طبيعة الدولة، والعلاقات الدولية، ومصادر القوة أو العنف، وكيفية تشكّلها.

2-**مفهوم الحرب:** تُتناول الحرب هنا كظاهرة سياسية نظرية يتم تفسيرها بطرق مختلفة بحسب الخلفية الفلسفية للنظرية المعتمدة. وبالتالي، تُفهم الحرب بوصفها بناءً مفاهيميًا محمّلًا بدلالات أنطولوجية.

3-**مفهوم السبب أو السببية:** تُقارب الدراسة هذا المفهوم بوصفه بناءً نظريًا يتأثر بأنماط التفكير والأنطولوجيا الكامنة في كل مقاربة. فالسبب في الواقعية مثلًا يختلف في طبيعته عن السبب كما تُقاربُه ما بعد الحداثة أو النقدية.

4-**مفهوم منظورات العلاقات الدولية:** يُستخدم مصطلح "المنظورات" في حقل العلاقات الدولية للإشارة إلى المدارس أو الأطر النظرية الكبرى التي تقدم تصورات شاملة حول طبيعة النظام الدولي، ودور الفاعلين، وطبيعة القوة والنزاع والتعاون. وتتميّز هذه المنظورات باختلاف أدوات التحليل التي تعتمدها، و باختلاف الافتراضات الفلسفية والأنطولوجية والإبستمولوجية التي تنطلق منها في تفسير الظواهر السياسية

يشمل هذا المفهوم منظورات وضعية كالواقعية والليبرالية، ومنظورات ما بعد وضعية كالنقدية، وما بعد الحداثة، . ومن هنا، فإن مصطلح "المنظورات" يُشير طرق مختلفة لرؤية العالم السياسي، وهو ما يجعل منه متغيرًا محوريًا في هذه الدراسة التي تسعى لفهم كيف تنتج كل منظومة نظرية تفسيرًا مميزًا لأسباب الحرب بناءً على تصورها للواقع الدولي.

ثانيا- الثنائيات المفاهيمية المرتبطة بمنطق التحليل النظري:

1-الفاعل/البنية (Agency/Structure):

الفاعل: قدرة الكيانات (الدول، الأفراد) على الفعل المستقل.

البنية: القيود والفرص التي يفرضها النظام الدولي.

2- المادة/المعنى (Material/Ideational):

المادة: العناصر الملموسة (القوة العسكرية، الاقتصاد).

المعنى: الأفكار، المعايير، الهويات.

3- الموضوعية/الذاتية (Objectivity/Subjectivity):

الموضوعية: واقع مستقل عن الملاحظ.

الذاتية: واقع مُنشأ عبر الممارسات الاجتماعية.

تاسعا/- تقسيم الدراسة :

نظراً للطبيعة النظرية والإشكالية الفلسفية التي تطرحها هذه الدراسة، فقد تم تقسيم المذكرة إلى ثلاثة فصول أساسية، تتدرج من التأسيس المفاهيمي إلى التحليل النظري :

الفصل الأول: الحدود المفاهيمية لأنطولوجيا الحرب

يُشكّل هذا الفصل تمهيداً مفاهيمياً يُعرّف بأهم المفاهيم التي تقوم عليها الدراسة، مثل الأنطولوجيا، الحرب، ويستعرض الدلالات السياسية والمعرفية التي تحكم استخدام هذه المفاهيم داخل حقل العلاقات الدولية .

الفصل الثاني: الدلالات الأنطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات الوضعية

يُعالج هذا الفصل الكيفية التي تفسّر بها النظريات الوضعية الكبرى أسباب الحرب، انطلاقًا من تصوراتها الأنطولوجية حول الفاعل (الدولة)، والنظام الدولي (الفوضوي)، والمصلحة والقوة. ويتناول بالتحليل الواقعية التقليدية، والواقعية البنيوية ، والليبرالية و النيوليبرالية، واستعراض الأسس الأنطولوجية التي تؤطر تفسير كل مقاربة.

الفصل الثالث: المضامين الأنطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات ما بعد الوضعية

يركّز هذا الفصل على النظريات ما بعد الوضعية، التي تعيد مساءلة المفاهيم التقليدية، وتقدّم تفسيرات بديلة لأسباب الحرب تنطلق من تصور رمزي أو معرفي للسلطة، والفاعلية، والعنف. ويُناقش النظرية النقدية (لينكلايتر، كوكس)، وما بعد الحداثة (دريدا، فوكو)، مبرزاً كيف تبنت أنطولوجيات بديلة ، وما يترتب عن ذلك من تباين في تفسير الحرب.

عاشرا/- الصعوبات :

واجهت هذه الدراسة جملة من الصعوبات، كان من أبرزها :

1-الطابع التجريدي والتعقيد: طبيعة الموضوع الأنطولوجية شديدة التجريد وتتطلب غوصاً عميقاً في الفلسفة والنظرية الاجتماعية. خاصة مفهوم "الأنطولوجيا" الذي يختلف من حيث الدلالة والاستخدام بين الحقول الفلسفية التقليدية وحقل العلاقات الدولية، ما تطلّب جهدًا إضافيًا بالبحث في جذوره الفلسفية لتوضيح وضبط المفهوم ضمن سياقه النظري المعاصر.

2-تعددية المنظورات في مقابل محدودة وقت الإنجاز : اتساع وتنوع المنظورات النظرية في العلاقات الدولية يفرض تحدياً في الإلمام الشامل والتحليل الدقيق خاصة مع ضرورة الالتزام بجدول زمني ضيق .

3-استخلاص الافتراضات الضمنية: تطلبت الدراسة قراءة ما بين السطور لاستخراج الافتراضات الأنطولوجية الكامنة التي أحيانا لم تكون مصرحاً بها صراحة في النصوص النظرية خاصة في المنظورات ما بعد الوضعية .

4-المراجع العربية : شكّلت ندرة الأدبيات العربية المتخصصة في الربط بين الأنطولوجيا وتفسير أسباب الحرب تحديًا في جمع المصادر، ما فرض الاعتماد بدرجة أكبر على الأدبيات الأجنبية، مع ترجمة دقيقة للمفاهيم دون الإخلال بدلالاتها الأصلية.

الفصل الاول

الحدود المفاهيمية لأنطولوجيا الحرب

الفصل الاول : الحدود المفاهيمية لأنطولوجيا الحرب

تكتسب المفاهيم دلالة مركزية في بناء الوعي وتحليل السياقات الفكرية والنظرية ، لذى فإن استكشاف الحدود المفاهيمية للظواهر السياسية و ضبط دلالاتها بدقة يُعد ضرورة علمية لفهم الأسس التي تُبنى عليها المعرفة السياسية، و هذا كفيل بإضفاء عمق تحليلي ينقل المعرفة العلمية من تجليات مظاهرها نحو خلفيات ظواهرها. في هذا السياق، يأتي التطرق للمفاهيم الأساسية لهذا البحث كخطوة حتمية و ضرورة منهجية تربط الدراسة بمجالها المعرفي و تسمح بالتوظيف الصحيح و الدقيق للمصطلاحات و المفاهيم و تزيل الغموض في الكثير من النقاشات النظرية والفكرية ، بكونها أداة تحليلية أساسية تضبط حدود التفاعل بين النماذج الفكرية المتعددة .

لذا ينطلق هذا الفصل من الحاجة الى تأصيل مفهوم الانطولوجيا ، من خلال بيان دلالاتها الاصطلاحية المعاصرة ، ثم تتبع جذورها الفلسفية و بيان أبرز التحولات التي مرت بها ، و رصد موقعها ضمن العلوم السياسية و العلاقات الدولية بعرض ابرز المقاربات الانطولوجية التي طرحت في حقل العلاقات الدولية و الاشارة للتمايز بين انطولوجيا تفسيرية مادية و اخرى تكوينية معيارية و ما تفرزه من تصورات حول الدولة و النظام و الفاعلين و الخطاب ، و كيف ينعكس تصورنا للوجود على سبل معرفتنا به و فهم علاقة الانطولوجيا بالابستيمولوجيا .

يتعرض القسم الثاني من الفصل لمفهوم الحرب و ما ينطوي عليه من تعقيد و تداخل مختلف المجالات السياسة والعسكرية و الاعتبارات الاجتماعية ، وقد ارتأينا أن نعرض لمفهوم الحرب من زاويتين متقابلتين تمثل الاولى رؤية التيار الوضعي للحرب باعتبارها ظاهرة مادية ، و تعكس الثانية المقاربات مابعد الوضعية التي تفكك الخطابات و المعاني الكامنة و راء الحرب و تنتقد الطابع العقلاني و المركزي للنظرة التقليدية .

بهذا يرسي الفصل معالم اطار نظري متوازن لفهم الحرب كظاهرة متعددة الطبقات ، و يؤسس لفهم أعمق للبنية الانطولوجية التي تتشكل من خلالها الحرب كظاهرة سياسية و اجتماعية معقدة .

المبحث الاول : مفهوم الأنطولوجيا

يركز هذا المبحث في مصطلح الانطولوجيا كأحد أهم المفاتيح المعرفية التي انشغل بها الفكر الانساني منذ العصور الاولى اذ ارتبطت بدراسة الماهية و الوجود ، و شكلت أحد الأسس المفاهيمية للفكر التنظيري لفهم طبيعة الكينونة و العلاقة بين الاشياء .

و قد صاحب تطور العلوم الاجتماعية انتقال هذ المفهوم من جانبه الفلسفي الى مجالات معرفية أوسع ليصبح اداة تحليلة لفهم الظواهر المعقدة من خلال محاولة فهم ماهيتها و جوهر كينونتها .

المطلب الاول : الانطولوجيا : دراسة في المصطلح و الجذور

أولا : تعريف الانطولوجيا

الأنطولوجيا من حيث معناها اللغوي هي كلمة ذات جذر لاتيني حديث مكونة من مقطعين، باتحادهما يكون معناها: علم الوجود

فأما المقطع الأول فهوOnto ويعني: «أ » وجود، «ب » كائن حي[1]

وأما المقطع الثاني فهو Logy ويعني :تعبير شفاهي أو كتابي..مذهب، نظرية، علم[2]

اذن فالأنطولوجيا لغة هي " علم الوجود أو نظرية في علم الوجود"[3]

[1]- منير البعلبكي، ود .رمزي منير البعلبكي، المورد الحديث، قاموس انكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 2015 ، ص. 796
[2]- نفس المرجع السابق ، ص 677 .
[3]- نفس المرجع السابق ،ص 677 .

يشير المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة الى الانطولوجيا بكونها " العلم الذي يكون موضوعه الوجود المحض، أو الموجود المشخص وماهيته، أو الموجود من حيث هو موجود أو الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره"[1]

يعرف لالاند في موسوعته الفلسفية الانطولوجيا بأنها " باب من أبواب الفلسفة ينظر عقلا في الكون من جهة هو كون "[2]

عرف المعجم الفلسفي الانطولوجيا بأنها العلم الذي يبحث في الوجود بوصفه وجودا او الفرع من الفلسفة الذي يدرس الموجود من حيث هو موجود و هي بذلك لا تقتصر على نوع خاص من الكائنات بل تشمل كل ما يمكن ان يوصف بأنه موحود سواء كان ماديا او ذهنيا محسوسا او مجردا.

و مع بروز النظريات البنيوية و مابعد البنوية توسع استعمال الانطولوجيا ليشمل دراسة انماط الوجود و كيفية تشكل الكيانات ضمن علاقات القوة و المعنى لا فقط في اطارها المادي بل الرمزي ايضا . ثم اتسع المفهوم في علم المعرفة (الابستيمولوجيا) ليشير الى البنية المفاهيمية التي تنطلق منها النظريات في تعريف موضوعاتها و اسئلتها الاساسية .

و الانطولوجية : هي ميل الفكر الى الانطولوجيا من حيث انها تبحث عن صفات الموجود في ذاته

و الانطولوجي : هو المنسوب الى الانطولوجيا و هو المتعلق بحقيقة الوجود لا بظواهر الوجود ، لذا فالبحث في الابعاد الانطولوجية لأسباب الحروب في منظورات العلاقات الدولية لا يُعنى بدراسة ظاهرة الحرب بتجلياتها و أحوالها و ميزاتها أو ما ينتج عنها و انما هو بحث في جوهر الظاهرة و أصل وجودها حسب ما تراه مختلف نظريات العلاقات الدولية .

ثانيا : الأنطولوجيا نظرة في الجذور الفلسفية و تطور المبحث

[1]- الحفني، د .عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي،القاهرة، مصر، ط3 ، 2000 م، ص12

[2]- لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثاني ، منشورات عويدات بيروت ، عام 2008 ، ص 911 .

تستمد الأنطولوجيا في العلاقات الدولية جذورها من النقاشات الفلسفية العميقة حول طبيعة الواقع. فمنذ الفلسفة اليونانية القديمة، تمحور الجدل حول أسبقية المادة أو الفكر في تحديد الوجود. ويمكن تتبع أثر الفكر المادي إلى فلاسفة الطبيعة اليونانيين و كارل ماركس و غيرهم ، الذين رأوا العالم مكونًا من عناصر محسوسة. وفي المقابل، نجد تصورات افلاطون للمثل و الأفكار و جدلية هيغل التاريخية التي أولت الأفكار والمعاني أهمية كبرى في تشكيل الواقع. هذه الجذور الفلسفية هي التي تشكل الخلفية المعرفية للنقاشات المعاصرة حول الأنطولوجيا المادية والمعيارية في العلاقات الدولية .

في الفلسفة، تُعدّ الأنطولوجيا فرعًا من فروع الميتافيزيقا، يتناول أسئلةً جوهريةً مثل "ما هو الموجود؟" و"ما معنى الوجود؟". الأنطولوجيا هي الميتافيزيقا في أكثر صورها تجريدا – إذ تُعنى بدراسة الوجود والواقع نفسه – ولذا فهي أساسٌ لكثيرٍ من الفكر الفلسفي[1] . إنّ مصطلح الأنطولوجيا هو البحث في الوجود المطلق وما يحتويه من مجموعة المفاهيم المندرجة تحت هذا اللفظ والتي أطلق عليها أرسطو اسم الميتافيزيقا العام ، و تتبع جذور المصطلح (الانطولوجيا) يعني بالضرورة تتبع المفاهيم التابعة له .

يرتبط ظهور المصطلح الانطولوجي بمرحلة ما بعد ارسطو* الا ان جذوره تمتد الى الفلسفة اليونانية حيث شكل موضوع الوجود محورا مركزيا في تفكير فلاسفة الطبيعة الاوائل مثل طاليس و اناكسيماندر . و قد انشغل هؤلاء بمحاولة اكتشاف العنصر الأول (مادة واحدة مثل الماء ، الهواء ، النار) الذي يُعد أصل كل الأشياء، ثم جاء بارمينديس ليقول بفكرة "المكون الأساسي للحقيقة هو الوجود" [2]. و هو ما يمكن اعتباره بداية للطرح الانطولوجي الاول و ان لم يكن صريحا كمفهوم مستقل بعد.

[1] - Cain Andy , what is Ontology ,online artical on : https://www.perlego.com/knowledge/study-guides/what-is-ontology/

*ان اسم "انطولوجيا" هو وحده الجديد أما العلم بحد ذاته فقد كان موجودا منذ عهد الفلسفة اليونانية الاولى لكن بمسمى الفلسفة الأولى او الميتافيزيقيا .

[2]- فرحة، محمد. "الأنطولوجيا: النشأة والتطور والنضج"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 32، العدد 4، 2010، ص 55 .

في مرحلة لاحقة أحدثت فلسفة أفلاطون تحولًا جذريًا في الفكر الأنطولوجي من خلال تقسيمه للوجود إلى عالمين: عالم المحسوسات المتغير والناقص، وعالم المعقولات أو المُثل، الثابت والكامل. في هذا التصور، يكون العالم المعقول هو الوجود الحقيقي، بينما لا تمتلك الكائنات الحسية وجودًا مكتملًا إلا بقدر ما تشارك في المثل. وقد كانت هذه الثنائية محورًا أساسيًا في فكر أفلاطون الأنطولوجي، حيث ربط بين المعرفة والكينونة من خلال نظرية المثل[1].

بلغت الأنطولوجيا في الفلسفة اليونانية أوج نضجها مع أرسطو، فبعد ثنائية أفلاطون بين العالم الحسي والمعقول، أسس أرسطو لبديل مفاهيمي يجعل الوجود متجليًا في الأشياء نفسها. في تصوره، الأنطولوجيا هي العلم الذي يبحث في "الوجود بما هو موجود"[2]. يرى ارسطو ان الموجود ليس نوعا واحدا بل يقال على انحاء متعددة و لكن مبادئ الموجود هي بحث في جوهره . ففي شرح ثامسيطوس لمقالة اللام يقول إن : " اسم الموجود يقال على أنحاء شتى إلا أننا اذا قصدنا طلب مبادئ الشيء الموجود فإنما نقصد طلب مبادئ الجوهر فقط "[3] ، فالجوهر هو الموجود الحقيقي ، و البحث في مبادئ و علل ذلك الجوهر هو موضوع الانطولوجيا ، و بالتالي فإن الانطولوجيا هي البحث في الجوهر .[4]

أما في الفلسفة الوسيطة فقد استُعيدت المفاهيم الأساسية التي وضعها أرسطو، لكن في سياق جديد مختلف تميز بتمازج الفكر اليوناني مع المنظومة الدينية، المسيحية والإسلامية. وقد كان التحدي الأساسي لفلاسفة العصور الوسطى هو التوفيق بين العقل والإيمان، بين الفلسفة والدين ، وبذلك تحولت الانطولوجيا الى وسيلة لفهم طبيعة الله .

برزت في هذه الفترة ما يعرف بالحجة الانطولوجية عند أنسليم و التي تعني حسب هنترميد "إن وجود الله يلزم حتما من تصور الالوهية ذاته . ففكرة الله هي أكمل موجود " [5] فيما فضل توماس الاكويني الاعتماد على الحجج الاستقرائية القائمة على الملاحظة الحسية والعقلية،

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 56 .
[2]- ابن رشد ، تفسير مابعد الطبيعة ، pp1003 ، 23 ، ص 296 .
[3]- نفس المرجع السابق ، ص 296 .
[4]- فرحة محمد ، مرجع سابق ، ص 57 .
[5]- هنترميد ، الفلسفة أنواعها و مشكلاتها ، ت : فؤاد زكريا ، المملكة المتحدة ، دار النشر مؤسسة هنداوي ، 2022 ، ص 476 .

ليُثبت أن الوجود الإلهي ليس بديهيًا بل يُستدل عليه من خلال الموجودات ، يقول الاكويني " ولأننا لا نعرف جوهر الله، فإن القضية ليست بديهية لنا؛ بل تحتاج إلى إثبات بأشياء أكثر معرفة لنا "[1].

في الفلسفة الإسلامية، قدّم ابن سينا نظرية دقيقة في مفهوم الوجود، ميّز فيها بين الوجود الممكن والوجود الواجب، وذهب إلى أن كل ما عدا واجب الوجود ممكن الوجود يحتاج إلى علة تُخرجه من العدم إلى الكينونة، أما الله فهو واجب الوجود بذاته يقول ابن سينا : " أن الواجب الوجود لا علة له، وأن الممكن الوجود معلول، وأن الواجب الوجود غير مكافئ لغيره في الوجود، ولا متعلق بغيره فيه "[2].

كما طرح ابن رشد مشروعًا عقلانيًا حاول فيه التوفيق بين الشريعة والفلسفة، مؤكدا أن التأمل في الوجود لا يتعارض مع مقاصد الدين، بل يشكل سبيلًا لفهم أعمق للخلق والخالق ، يقول ابن رشد " إن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات و اعتبارها (...) فواجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي . هذا النوع من النظر الذي دعا اليه الشرع و حث عليه ." [3] وقد حاول ابن رشد أن يعيد قراءة أرسطو قراءة دقيقة، وأن يضع حدودًا فاصلة بين ما هو فلسفي وما هو لاهوتي، مما منح للأنطولوجيا مساحة من الاستقلال النظري.

في الفلسفة الحديثة انفصلت الأنطولوجيا تدريجيًا عن الإطار اللاهوتي الذي طبعها خلال العصر الوسيط، لتدخل في صلب المشروع الفلسفي العقلاني والنقدي الذي أسسه فلاسفة الحداثة، فمع ديكارت – رائد الفلسفة الحديثة – بدأت الأنطولوجيا تأخذ منحًى ذاتيًا، حيث أسس لأنطولوجيا ذاتية تجعل من العقل و الوعي نقطة انطلاق لكل معرفة بالوجود ، "طور ديكارت مناهج العلم بمفاهيم جديدة في تفسير الوجود حيث فصل بين وجود محله في

[1] - Thomas Aquinas, Summa Theologiae, trans. Fathers of the English Dominican Province (New York: Benziger Bros., 1947), Part I, Q. 2, Art. 3, 13.

[2]- ابن سينا ، الشفاء الالاهيات ، ص 18 .

[3]- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، (تحقيق: محمد عمارة، القاهرة: دار المعارف، 1972)، ص 28 .

الاذهان يدرك من خلال العقل و وجود واقعي موضوعي قابل للقياس تجري فيه الاحداث المادية ضمن قوانين بوسع الانسان اكتشافها و تسخيرها لصالحه " [1]

جاء هيغل ليطور الرؤية الانطولوجية من منظور جدلي اذ اعتبر ان الوجود ليس معطى ساكن بل هو حركة تطور تاريخية للعقل او الروح و ان الواقع يتكشف من خلال نفيه لذاته وصيرورته . فهو يعتبر أن الأنطولوجيا لا يمكن أن تقتصر على توصيف الموجودات أو المفاهيم الثابتة، بل يجب أن تتابع حركتها الداخلية. فالوجود ليس معطى نهائيًا، بل هو صيرورة دائمة نحو تحقيق الوعي بالذات[2].

عرف موضوع الأنطولوجيا في الفلسفة المعاصرة انقلابات مفاهيمية ومنهجية عميقة، حيث لم يعد يُنظر إلى الأنطولوجيا باعتبارها علمًا تقليديًا للموجود بما هو موجود، بل أصبح سؤال الكينونة يعاد طرحه من منطلقات وجودية، تأويلية، لغوية، وحتى تفكيكية.

في ضوء مستجدات الفكر المعاصر شكلت فلسفة مارتن هايدغر نقطة تحول كبيرة في فهم الانطولوجيا اذ دعا الى اعادة صياغة السؤال حول الوجود نفسه منتقدا الغفلة عن هذا السؤال في تاريخ الفلسفة التي "نسيت سؤال الكينونة، و يقصد الوجود الإنساني في العالم "[3] وركزت فقط على الموجود . ميز هايدغر بين الانطولوجيا العامة التي تهتم بالموجودات و بشكل مجرد(الوجود في متناول اليد) و الانطولوجيا الاساسية التي تنطلق من وجود الانسان في العالم أو "الدازاين"، بوصفه الكائن الوحيد القادر على التساؤل عن كينونته.. و من هنا باتت الانطولوجيا في صغتها المعاصرة ليست مجرد نظرية في الاشياء بل مدخلا لفهم العلاقة بين الذات و العلم و التاريخ .

تتأثر هذه الأنطولوجيا الجديدة أيضًا بمدرسة الظاهراتية كما طوّرها هوسرل، الذي دعا إلى "العودة إلى الأشياء ذاتها"، أي إلى الخبرة المباشرة والظواهر كما تُعطى للوعي. وعلى الرغم من

[1]- فرحة محمد ، مرجع سابق ، ص 60 .
[2]- نفس المرجع السابق ، ص 62-63 .
[3]- نفس المرجع السابق ، ص 64 .

أن هوسرل لم يكن أنطولوجيًا بالمعنى الصريح، إلا أن مشروعه في تأسيس علم دقيق للوعي والقصديات ساهم في تحرير الكينونة من التشييء، وجعلها مرتبطة ببنية الوعي والظهور.[1]

من جهة أخرى، أعادت الوجودية الفلسفية، خاصة مع جان بول سارتر، مساءلة العلاقة بين الوجود والماهية. يرى سارتر أن "الوجود يسبق الماهية"، ما يعني أن الإنسان يوجد أولًا، ثم يُعرّف نفسه من خلال أفعاله واختياراته. في هذا السياق، تتحول الأنطولوجيا إلى تفكير في الحرية والمسؤولية والقلق، وتخرج من نطاق الطرح المجرد لتصبح تحليلًا لوجود الإنسان في العالم.[2]

لاحقًا، ومع ظهور الفلسفة التأويلية، خصوصًا عند غادامير، والأنطولوجيا اللغوية عند فتغنشتاين وهابرماس، أصبح يُنظر إلى الكينونة بوصفها مرتبطة باللغة والفهم. فالوجود لم يعد يُفهم في ذاته، بقدر ما يُفهم ضمن أفق لغوي وتأويلي. وأصبح الفعل التفسيري نفسه يُعد فعلًا أنطولوجيًا، لأن فهم الكينونة مشروط باللغة التي بها نفكر ونتكلم.

في التيارات ما بعد الحداثية، خصوصًا مع جاك دريدا وجيل دولوز، تعرضت الأنطولوجيا الكلاسيكية لانتقادات حادة. فدريدا، من خلال التفكيك، بيّن أن كل نظام أنطولوجي يحمل داخله توترًا أو تباينًا يفضي إلى زعزعة ادعاءاته بالتماسك. أما دولوز، فقد دعا إلى أنطولوجيا للاختلاف، تقطع مع مفاهيم الهوية والثبات، وتعتمد على مفاهيم جديدة مثل "التكرار" و"التحول" و"الحدث".

لقد اتسمت الأنطولوجيا المعاصرة بالتنوع الشديد في المناهج والتوجهات، لكن يجمعها جميعًا السعي إلى تجاوز التصورات التقليدية الجامدة للكينونة، والانفتاح على أشكال متعددة من الوجود، سواء عبر التحليل الوجودي أو التأويلي أو التفكيكي. وبذلك، لم تعد الأنطولوجيا مبحثا

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 63 .
[2]- نفس المرجع السابق ، ص 66 – 67 .

ميتافيزيقا فحسب ، و انما مبحثا في صلب التفكير الفلسفي المعاصر، تتقاطع مع قضايا اللغة، الوعي، التاريخ، السلطة، والتحول.

المطلب الثاني : أنماط المقاربات الانطولوجية و علاقتها بالابستيمولوجيا

أولا : أنماط المقاربات الانطولوجية في العلاقات الدولية

تُعَدّ الأنطولوجيا، بوصفها دراسة طبيعة الوجود، حجر الزاوية الفلسفي الذي تستند إليه كافة النظريات والتفسيرات في حقل العلاقات الدولية. إن تحديد ما هو "موجود" وما هو "فاعل" في الساحة الدولية يكتسب أهمية بالغة عند محاولة فهم الظواهر المعقدة كالحروب. فالسؤال عن طبيعة الكيانات التي تقود إلى الصراع – هل هي قوى مادية، أم أفكار ومعايير، أم مزيج من الاثنين؟ – يمثل منطلقًا أساسيًا لأي تحليل لأسباب الحروب، ويحدد الأطر النظرية الممكنة لتفسيرها .

تعتبر الأنطولوجيا في العلاقات الدولية من المفاهيم الأساسية التي تحدد طبيعة الواقع الدولي وما يعتبر موجودًا أو فاعلاً ضمنه، وهو يشكل البنية الفلسفية التي تسبق أي بناء نظري أو تحليلي، إذ تُعنى بتحديد طبيعة الكيانات الأساسية التي تشكل النظام الدولي مثل الدولة، النظام، الفاعلين، الهوية... وكذلك العلاقة بينها وما إذا كان الوجود الدولي ثابتًا أو متغيرًا، ماديًا أو معنويًا، موضوعيًا أو ذاتيًا .

يعود التركيز على الأنطولوجيا في العلاقات الدولية إلى النقاشات الفكرية في الثمانينيات، لا سيما النقاش بين الباراديمات، الذي كشف عن تباين عميق في تصورات النظريات حول طبيعة الواقع والفاعلين الدوليين، مما دفع إلى طرح أسئلة أنطولوجية جوهرية لتعريف المجال[1]

[1] - Scott Hamilton, "A Genealogy of Metatheory in IR: How 'Ontology' Emerged from the Inter-Paradigm Debate," International Theory 9, no. 1 (2017): 136–170 .

وقد أفرزت هذه النقاشات اتجاهين رئيسين هما الأنطولوجيا التفسيرية (إبستمولوجيا وضعية مادية) والأنطولوجيا التكوينية (إبستمولوجيا ما بعد وضعية معيارية) .

أولًا: الأنطولوجيا التفسيرية

الأنطولوجيا التفسيرية تفترض أن الواقع الدولي يتكون من كيانات مادية قابلة للرصد والقياس مثل الدولة والقوة والموارد والموقع الجغرافي. وهي تنطلق من فرضية أن هذه الكيانات توجد بشكل مستقل عن الإدراك أو التفاعل البشري، أي أنها موجودة هناك سواء اعترفنا بها أم لم نفعل. وبالتالي فإن الفاعلين الدوليين في هذا الإطار يتصرفون ضمن بيئة أنطولوجية تحددها عناصر مادية موضوعية لا يمكن إنكارها أو تجاوزه .

ووفقًا لهذا المنظور، فإن النظام الدولي تحكمه قوانين موضوعية وثابتة، وأن الفاعلين (خصوصًا الدول) يتصرفون وفقًا لحسابات مادية وعقلانية نفعية . كما يشير "راينهارد مايرز " (Reinhard Meyers) إلى أن هذه الأنطولوجيا تفترض أن طبيعة الوجود الدولي يمكن تمثيلها من خلال أدوات القياس الموضوعية، أي أن ما لا يمكن قياسه، لا يمكن إدخاله في تحليل العلاقات الدولية [1]

إن الأنطولوجيا التفسيرية تتقاطع مع المنظور "الواقعي" الذي يرى أن "الدول المستقلة والمنظمات الحكومية الدولية" هي "الفواعل" الأساسية في "الوسط". وتحدد طبيعة هذه الفواعل بأنها "ذات بنية موضوعية، أي تدخل في الفاعلية في مساحات صغيرة من أجل الأرض، القوة، والثروة". كما يتضح أن الجانب "المثالي" يضيف إلى هذا المنظور "تعددية الفواعل: الدول، المنظمات الحكومية وغير الحكومية، الأفراد"، مشيرًا إلى أنهم "يدخلون في لعب وظيفة إنتاجية". هذا التصور يعزز فكرة أن الواقع الدولي مبني على كيانات مادية يمكن تحديدها وقياسها بشكل موضوعي، مما يؤدي إلى تحليل يركز على توازنات القوى والمصالح المادية[2].

[1]- محمد الطاعر عديلة ، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية : دراسة في المنطلقات و الأسس ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، جامعة باتنة ، سنة 2015 ، ص 71-72 .

[2]- نفس المرجع السابق ، ص 73 – 74 .

هذا النمط من الأنطولوجيا يركز على الحقائق الصلبة ويجعل من الوجود الدولي بناءً ماديًا يعكس توازنات القوة والعلاقات الموضوعية بين الكيانات، وهو ما يجعل التحليل ينطلق من فرضيات ترتبط بالمصالح والأمن والصراع باعتبارها انعكاسًا للواقع المادي العالمي. لكن هذا التصور غالبًا ما يتجاهل البعد المعنوي الرمزي للأفعال الدولية ويقلل من شأن دور المعنى والتأويل في تشكيل الواقع .

ثانيًا: الأنطولوجيا التكوينية

في المقابل ترى الأنطولوجيا التكوينية أن الواقع الدولي يبنى من خلال المعاني والأفكار والمعايير التي تُضفى إلى الكيانات دلالاتها وفاعليتها. فالكيانات الدولية مثل الدولة أو السيادة أو النظام لا توجد بشكل موضوعي فحسب بل يتم تشكيلها وإعادة إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي والخطاب والمعنى[1]

هذا التصور للأنطولوجيا يرى ان العلاقات لا تُفهم بمعزل عن السياق الذي تُنتج فيه. وبالتالي فإن الأنطولوجيا هنا تصبح أداة لتحليل كيف تُبنى الكيانات لا كيف تعمل فقط، وهو ما يسمح بفهم أعمق للبنى الرمزية والثقافية للواقع الدولي.

يعد هذا النمط من الأنطولوجيا أكثر انفتاحًا على التعدد والتأويل والاختلاف ومع ذلك، فإنه قد يقع في نسبية مفرطة، ويتجاهل أهمية البُنى المادية الصلبة، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى اقتراح مقاربات تركيبية تُراعي الطابع المعقد للواقع الدولي .

ثانيا : في علاقة الانطولوجيا بالأبستمولوجيا

تعتبر العلاقة بين الأنطولوجيا (نظرية الوجود) والإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) إشكالية معقدة ومثيرة للجدل . فبينما يرى البعض، مثل هاي (Hay)، أن الأنطولوجيا تسبق الإبستمولوجيا منطقياً، على اعتبار أن ما يمكن معرفته (الإبستمولوجيا) يتحدد بناءً على طبيعة الواقع

[1] - Scott Hamilton, "A Genealogy of Metatheory in IR: How 'Ontology' Emerged from the Inter-Paradigm Debate.

(الأنطولوجيا)، يرى آخرون، وخاصة ما بعد البنيويين، أن العكس هو الصحيح. فهم يعتبرون أن تصورنا لما هو موجود (الأنطولوجيا) ينبع في الأساس من الكيفية التي نعرف بها العالم (الإبستمولوجيا)، وبالتالي فإنها سابقة منطقياً[1].

يؤكد ديكسون (dixon) وبول جونز (paul jones) أن التقسيمات الأنطولوجية الكبرى، مثل الفصل بين البنى المادية والاجتماعية أو بين الفاعل والبنية، ليست محايدة بل ناتجة عن أطر معرفية سابقة تهدف إلى تنظيم الواقع وفهمه. وهذا الطرح ما يسميه البعض بـ"السقوط الإبستمولوجي" أو "الخطأ الإبستمولوجي"، أي تقليص الأسئلة الأنطولوجية إلى مجرد مسائل معرفية.

يعارض سبنسر (spencer) هذا التوجه، ويرى أن إنكار وجود أنطولوجيا مستقلة عن المعرفة يؤدي إلى نفي الواقع الخارجي وتحويل كل شيء إلى مجرد خطاب وفكر. ويؤكد أنه لا يمكن التنكر لوجود نظرية أنطولوجية، حتى وإن كانت ضمنية أو غير معترف بها، بل يجب إدراكها والاعتراف بها صراحة. ويُنتقد التيار ما بعد الحداثي هنا بأنه رغم إنكاره للحقيقة الموضوعية، إلا أن أي ادعاءاته تتضمن افتراضات ضمنية عن "ما هو موجود"، ما يدل على وجود أنطولوجيا ضمنية ومتناقضة.[2]

ويرى سبنسر أن المعرفة، رغم كونها منتجاً اجتماعياً ومتأثرة بالخطاب واللغة، فهي أيضاً معرفة بشيء واقعي ومستقل عن المجتمع، سواء كان طبيعياً أو اجتماعياً، وهذا ما يجعل من العلم مجالاً مشروعاً للبحث في الكيانات الخارجية وليس مجرد دراسة للمعرفة كظاهرة اجتماعية فقط.

بالمقابل، ترى سميث (smith) في انسجام مع الموقف ما بعد البنيوي، أن فصل الأنطولوجيا عن الإبستمولوجيا أمر غير واقعي، إذ أن الادعاءات الأنطولوجية بدون مبرر إبستمولوجي

[1] - David Marsh and Gerry Stoker, eds., Theory and Methods in Political Science, 3rd ed. (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2010), p 186 .

[2] - Ibid , p 187 .

تتحول إلى مجرد دوغمائية. وتؤكد أن العلاقة بينهما ليست أولوية لأحدهما على الآخر، بل علاقة تكاملية لا تنفصل[1].

ويخلص النص إلى أن المسألة لا تحسم نظرياً بشكل قاطع، وأن الباحث مدعو لتحديد موقفه بناءً على الوعي بانعكاسات كل اختيار فلسفي على المنهج والأسلوب التحليلي، مع التأكيد على أن الموقف المتبنى لا بد أن يكون منسجماً ومعلناً، سواء مال الباحث إلى الموقف الموضوعي الذي يسبق الأنطولوجيا فيه الابستيمولوجيا، أو إلى الموقف البنيوي/ما بعد البنيوي الذي يرى تداخلاً لا فكاك منه بين الاثنين.

إن الانقسام بين الأنطولوجيا المادية (التفسيرية) والأنطولوجيا المعيارية (التكوينية) في العلاقات الدولية يشكل أساسا نظريا و منطلقًا محوريا لفهم الخلافات الأعمق بين الاتجاهات النظرية في العلاقات الدولية من حيث الخيار الابستيمولوجي و يشكل اتجاهين رئيسين تيارات نظريات العلاقات الدولية :

الأبستمولوجيا الوضعية المادية (التفسيرية) :تركز على المعرفة التي يمكن الحصول عليها من خلال الملاحظة التجريبية والقياس. إنها تسعى إلى اكتشاف القوانين العامة التي تحكم الظواهر الدولية، وتعتمد على المنهج العلمي لتفسيرها والتنبؤ بها. هذه المقاربة تتوافق مع الأنطولوجيا التفسيرية التي ترى العالم مكونًا من كيانات مادية يمكن فهمها بشكل موضوعي.

الأبستمولوجيا ما بعد الوضعية المعيارية (التكوينية): تؤكد على أن المعرفة ليست محايدة أو موضوعية، بل تتأثر بالقيم والمعاني والسياقات الاجتماعية. إنها تسعى إلى فهم كيف تُبنى المعاني وكيف تُشكل الهويات والمعايير الواقع الدولي. تتوافق هذه المقاربة مع الأنطولوجيا التكوينية التي ترى أن الواقع الاجتماعي يتكون من خلال التفاعلات اللغوية والخطاب والمعاني المشتركة.

[1] - Ibid , 188 .

المبحث الثاني : مفهوم الحرب في أدبيات العلاقات الدولية

تُعد الحرب من أكثر الظواهر تعقيدًا في حقل العلاقات الدولية، وذلك نظرًا لتعدد أبعادها بين ما هو مادي ملموس، وما هو معياري أو قيمي متغير. فالحرب كظاهرة متعددة الأبعاد ترتبط بهياكل القوة، والنظام الدولي، والسلوك السياسي، كما تتشكل من خلال المعاني الثقافية، والتصورات الاجتماعية، والرموز الخطابية. إن هذا التداخل بين المادي والمعياري يجعل من تحديد مفهوم الحرب في إطار نظري موحد أمرًا بالغ الصعوبة، وهو ما أفرز تباينًا واضحًا بين نظريات العلاقات الدولية حول كيفية تعريف الحرب وتفسيرها.

المطلب الأول: مفهوم الحرب في الفكر الوضعي

تميل النظريات الوضعية إلى فهم الحرب كظاهرة مادية وواقعية قابلة للرصد والقياس، حيث تُفهم الحرب من هذا المنظور كسلوك يمكن ملاحظته كالعنف و التهديد، أو الصراع العسكري والسياسي بين وحدات فاعلة غالبا ماتكون دولا . تركز هذه النظرة على تحليل الحرب من خلال معطيات ملموسة كالقوة، الموارد، وتضارب المصالح . ومن هذا المنطلق، يُنظر إلى الحرب باعتبارها ظاهرة ناتجة عن توزيع غير عادل للقوة أو الموارد، و يفسر السلوك العدواني على هذا الأساس بوصفه انعكاسًا لحسابات عقلانية ضمن بيئة دولية فوضوية ، ويختلف تعريف الحرب ضمن هذا التصور تبعا لاختلاف المعايير الكمية أو المادية المستخدمة، مثل طبيعة الأطراف المتصارعة، حجم الخسائر البشرية أو مستوى التصعيد العسكري.

ينطلق تعريف جون مولر من معيار الفاعلين الرسميين، حيث يعتبر أن الحرب تحدث بين الحكومات، ويركز على الطابع الرسمي والمنظم للعنف ، كما يضيف مولر بعدا كميا لمفهومه للحرب اذ يعرفها على أنها" صراع مسلح بين الحكومات ."وهذه الحرب تختلف في حجمها ونطاقها، فهناك حروب دولية أو عالمية، وهناك حروب بين الحكومات الوطنية والجماعات

المحلية المسلحة في حال الحرب الأهلية، إلا أن الجامع بين كافة أشكال الحروب هي أن "ضحاياها يتجاوز الألف شخص كل عام، كضحايا مباشرين جراء القتال ." [1]

و تماشيا مع المحدد الكمي الاحصائي عند جون مولر يعتمد تعريف سمول وسينجر على تصنيف الحرب بناءً على عدد القتلى. ووفق هذا المنظور، تُعرف الحرب "كمعارك حربية بين طرفين دوليين، أعضاء في النظام الدولي يروح ضحية الأعمال العسكرية فيها ما يزيد عن الألف قتيل ."[2]

هيدلي بول هو الاخر يؤكد على أن الحروب لابد أن يكون أطرافها دول، والا لا يمكن أن نطلق عليها صفة الحرب، حيث يعرفها بقوله : " ان الحرب هي عنف منظّم تقوم به وحدات سياسية ضد بعضها البعض، فالعنف ليس هو الحرب ما لم ينفّذ باسم وحدة سياسية، لأن أهم ما يميز القتل في الحرب هو الطابع الرسمي."[3]

و من منظور آخر مشابه ، يربط كل من كارل فون كلاوزفيتز و غراي كولن بين مفهوم العنف المنظم و الغرض السياسي منه ، فهناك وصف كارل فون كلاوزفيتز الشهير للحرب بأنها "استمرار للنشاط السياسي بوسائل أخرى"[4] أما غراي كولن "فيعرف الحرب بأنها عنف مُنظّم لأغراض سياسية."[5] ويرى زانتو بلازس (Balazs Szanto) صاحب كتاب الحرب و العلاقات الدولية أنه من المفيد إضافة عنصر آخر إلى التعريف: إنها عنف بين الدول .[6]

[1] -John Mueller, "War Has Almost Ceased to Exist: An Assessment," Political Science Quarterly 124, no. 2 (2009):p 298.

[2] -Jack S. Levy, War in the Modern Great Power System: 1495–1975 (Lexington: University Press of Kentucky, 1983), p 52 .

[3] - Hedley Bull, The Anarchical Society: A Study of Order in World Politics (London: The Macmillan Press Ltd, 1977), p 184.

[4] - Meredith Reid Sarkees and Frank Whelon Wayman, Resort to War: A Data Guide to Inter-State, Extra-State, Intra-State, and Non-State Wars, 1816–2007 (Washington, DC: CQ Press, 2010), p 39 .

[5] - Balazs Szanto, War and International Relations: A Critical Analysis (London and New York: Routledge, 2022), p 17 .

[6] -Ibid , p 18 .

بينما ينطلق تعريف سامبينز (Sambanis) من معيار شمول الفاعلين الرسميين وغير الرسميين في النزاع المسلح، فيرى أن الحرب هي "مواجهة عنيفة بين جماعات منظمة، إحداها على الأقل تمثل حكومة وطنية."[1]

يركز تعريف جاك ليفي على معيار استخدام العنف المادي الواسع النطاق، ويبتعد عن قصر الفاعلين على الدول فقط. فيُعرّف الحرب بأنها " صراع مسلح جوهري بين القوات العسكرية المنظمة لوحدات سياسية مستقلة."، مشيرًا إلى أن جوهر الحرب يتمثل في العنف المسلح الممنهج بغض النظر عن هوية الفاعلين الرسميين ."[2]

و فيما يذهب البعض الى تناول مفهوم الحرب كضرورة و حتمية تاريخية مادية كما يُبيّن ماركس وإنجلز اللذان "عرّفا التاريخ من حيث الصراعات الطبقية وجادلا بضرورة وجود حرب... حيث يؤدي الإطاحة العنيفة بالبرجوازية إلى تمهيد الطريق لهيمنة البروليتاريا."[3] ينظر دعاة السلام الي الجانب الاخلاقي للحرب حيث أن وودرو ويلسون رأى الجوانب الإيجابية والسلبية للحرب عندما وصف الحرب العالمية الأولى بأنها حرب "لإحلال السلام والأمان لجميع الدول"[4]

وعلى صعيد آخر و بالتركيز على معيار بنية النظام الدولي،.يبني كينيث والتز مفهومه لظاهرة الحرب استنادا على أن الدول كوحدات أساسية، تسعى للبقاء وتعتمد على نفسها في تحقيق أمنها، وهو ما يجعل استخدام العنف أحد أدواتها المشروعة لتحقيق هذا الهدف. لذا يعرف والتز الحرب بأنها "الاستخدام المنظم للعنف بين طرفين دوليين مستقلين "[5]

و على نفس نهج المفهوم البنيوي يعرف كل من ليفي وتومبسون الحرب على أنها "حالة من العنف المستمر والمنظم بين المنظمات السياسية المصحوب بوقوع تغيرات في البنية المهددة،

[1] - Sambanis, Nicholas. "What Is Civil War? Conceptual and Empirical Complexities of an Operational Definition." Journal of Conflict Resolution 48, no. 6 (December 2004): 814–858.

[2] - Jack S. Levy, War in the Modern Great Power System, p 50 .

[3] - Meredith Reid Sarkees and Frank Whelon Wayman, *Resort to War* , p 39 .

[4] -Ibid .

[5]- محمد أحمد أبوزيد ، نظريات العلاقات الدولية والحرب :مراجعة للأدبيات ، مجلة الناقد للدراسات السياسية ، العدد الأول ، أكتوبر 2017 ، ص 12

ونظم التسلح، وطبيعة المنظمات العسكرية والاقتصاد السياسي لهذه الوحدات والمنظمات السياسية ."[1]

يبدو جليا من التعريفات السابقة أن النظرة الوضعية لمفهوم الحرب ترتكز بشكل أساسي على عناصر مادية قابلة للرصد والقياس، مثل عدد الخسائر البشرية، وطبيعة الفاعلين، والتنظيم الرسمي للعنف. حتى وإن تنوعت زوايا النظر بين من يركّز على البعد الكمي أو المؤسساتي، ومن ينطلق من تحليل البنية الدولية أو الأهداف السياسية لهذه الظاهرة، إلا أنها تشترك جميعًا في اعتبار الحرب ظاهرة عقلانية وسلوكية تحدث ضمن بيئة دولية فوضوية. غير أن هذا النموذج الانطولوجي لا يُحيط بكامل أبعاد الظاهرة ، إذ يغفل عن الجوانب الإدراكية والرمزية والثقافية التي تلعب دورًا أساسيًا في تشكيل مفهوم الحرب . ولذلك كان لابد أن تتطرق الدراسة إلى المقاربة المعيارية التي تسعى لرصد الصراع من منظور قيمي ، وهو ما سيكون محور التأصيل المفاهيمي في المطلب الثاني .

المطلب الثاني: مفهوم الحرب في الفكر ما بعد الوضعي

تميل النظريات مابعد الوضعية إلى التركيز على البناء الثقافي والاجتماعي للحرب، وترى أن الحرب ليست مجرد صراع مادي بين الدول، بل هي بناء اجتماعي معقد يتأثر بديناميكيات القوة والأيديولوجيات والهياكل الاجتماعية والسياسية. يتحدى هذا المنظور الآراء التقليدية من خلال التركيز على الأسباب والتداعيات الكامنة للحرب و يبني هذا المنظور فهمه لظاهرة الحرب من خلال تقفي و كشف الدوافع الأعمق ، والتي غالبًا ما تكون خفية و كامنة في الرهانات الخطابية، والهويات، والقيم المهيمنة في العلاقات الدولية .

في هذا السياق، تُقدم عالمة الأنثروبولوجيا الثقافية مارجريت ميد فهما يرتكز منطقه على أن الحرب ليست نزعة بيولوجية بل اختراع ثقافي. فهي ترى أن المجتمعات اخترعت الحرب كما

[1] - Jack Levy and William Thompson, Causes of War (New York: Wiley-Blackwell, 2010),p 5.

اخترعت الكتابة والطهي والزواج، وأنها قادرة كذلك على التخلي عنها عبر تطوير بدائل مؤسسية و ثقافية ، و تعرف ميد الحرب على أنها " صراع معترف به بين مجموعتين كجماعات، تضم كلا منهما جيشاً (حتى لو كان هذا الجيش يتكون من خمسة عشراً قزماً) في ساحة للنزال، وقتل أعضاء أو جنود من المجموعة الأخرى ". والحرب بهذا المعنى تعتبر اختراعاً ثقافيا مثل أي اختراع قام به البشر لتنظيم حياتهم . [1]

من جهته ، يجادل كيلي بأن الحرب والمجتمع يتطوران معًا (...) تنشأ الحرب "كتحول من شكل من أشكال العنف الجماعي الانتقامي إلى شكل آخر، أي كتحول من عقوبة الإعدام إلى الثأر إلى الحرب"[2] . لذلك يُعرّف كيلي الحرب بأنها فعل عنف مميت يتسم بجميع الخصائص التالية: يُنفذ جماعيًا؛ يُقره المجتمع جماعيًا؛ يُبرره المشاركون أخلاقيًا؛ يحظى المشاركون فيه باحترام أفراد مجتمعهم؛ تكون الأعمال منظمة ومخططة ومُدبّرة مسبقًا تخدم الأعمال هدفًا عمليًا.[3]

يرفض عالم النفس الأمريكي هربرت كيلمان النظرة المادية للحرب المبنية على القوة و المصلحة و المؤسسات و يقدم منظورا إنسانيا نفسيا لفهم الحرب ، فالحرب حسبه ليست مجرد صراع على المواد ، بل هي صراع على المعنى و الوجود ، يقول كيلمان : " يجب تصور الصراع الدولي أو العرقي كعملية تعبر فيها الاحتياجات و المخاوف الإنسانية الجماعية بأساليب قوية ، عادة ما يكون هذا الصراع مدفوعا بعدم اشباع الحاجات الأساسية او تهديد اشباعها ، لا تشمل هذه الاحتياجات ، الاحتياجات المادية الواضحة فحسب (...) بل تشمل أيضا الاحتياجات النفسية مثل الهوية و الامن والاعتراف و الاستقلالية و تقدير الذات و

[1] - Margaret Mead, “Warfare Is Only an Invention—Not a Biological Necessity,” Asia, no. 15 (1940), p 402.

[2] - Greg Cashman, What Causes War? An Introduction to Theories of International Conflict, 2nd ed. (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2014). p 41

[3] -Ibid, p 40 .

الشعور بالعدالة "[1]. و يوضح أيضا أن هذه الاحتياجات غالبا ما ترتبط بالجماعات و الهويات الجماعية مما يجعل الصراع وجوديا بطبيعته لانه يتعلق ببقاء الجماعة و هويتها [2]. و حسب جون بورتن فان حرمان المجتمع من الاعتراف والهوية سيؤدي، على جميع المستويات الاجتماعية، إلى سلوكيات بديلة مصممة لتلبية هذه الاحتياجات، سواء كانت حروبًا عرقية أو عصابات شوارع أو عنفًا منزليًا.[3]

لذلك كيلمان هو الاخر يعرف الحرب بأنها " فعل اجتماعي داخلي من جهة و بين المجتمعات من جهة ثانية و تتم ممارسته في نطاق دولة واحدة أو في النطاق الدولي "[4]

على نقيض حتمية الصراع الهوياتي و الفعل الجماعي ، يتحوّل بورتون إلى البُعد السايكو-اجتماعي للحرب، فيُعرّفها كـ "أزمة إدراكية" تنشأ من إدراك مشوه أو خاطئ لموقف موضوعي ، يقول جون بورتون " أن نزاعا يبدو انه يدور حول اختلافات موضوعية للمصالح، يمكن تحويله إلى نزاع له نتائج إيجابية على أساس وظيفي، من أجل استغلال الموارد المتنازع عليها ."[5]

جون غالتونغ و رغم اتفاقه مع بورتون على أن الحرب بناء إدراكي زائف، يوسع غالتون دائرة التحليل من سيكولوجيا الحرمان الفردي عند بورتون إلى سوسيولوجيا العنف البنيوي، حيث "ينظر إلى النزاع على أنه مثلث متساوي الأضلاع، وأطلق على الزوايا الثلاثة لأضلاعه : زاوية التناقض ، زاوية حالة الإدراك، زاوية السلوك .زاوية التناقض (Contradiction) الوضع الذي يبلور عدم التوافق في الأهداف والمصالح بين الأطراف – .زاوية الإدراك (Perception)

[1] -Herbert Kelman, "Social-Psychological Dimensions of International Conflict," in Peacemaking in International Conflict: Methods and Techniques, rev. ed., ed. I. William Zartman (Washington, DC: United States Institute of Peace, 2007), 64–65.

[2] -Ibid.

[3] -John W. Burton, "Conflict Resolution: The Human Dimension," The International Journal of Peace Studies 3, no. 1 (1998), https://www3.gmu.edu/programs/icar/ijps/vol3_1/burton.htm.

[4]- جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، *النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية*، ترجمة د. وليد عبد الحي (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1985) ، ص 143 .

[5]- سليم عاشور ، "سلسلة محاضرات مقياس تحليل النزاعات الدولية"، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة المسيلة ، ص 3 .

تشير إلى عملية تصور المفاهيم الخاطئة وغير الخاطئة عن أنفسهم (الرؤية)، والتصور الذي يحمله كل منهما عن الآخر .السلوك (Behaiviour) يشير إلى تبلور التناقض و الروية إلى سلوك على ارض الواقع عادة ما يجسد في شكل تهديد أو القهر واستخدام العنف المسلح (الحرب)"[1].

تعكس التعريفات المعيارية لمفهوم الحرب في هذا المطلب تحولًا أنطولوجيًّا عن التحليلات المادية الكمية، نحو فهمٍ أكثر تعقيدًا يركز على الأبعاد الثقافية والنفسية والاجتماعية للصراع. فالحرب في هذا المنظور تُفهم كبناء اجتماعي يرتكز على الخطابات والهويات والاحتياجات الإنسانية غير المُلبَّاة، وهي بذلك نتاجٌ للمعاني والرموز التي تُشكِّل تمثُّلات الفاعلين للذات والآخر. هذا التوجه يُبرز الطبيعة المركبة والوجودية للحرب، ويؤكد أن معالجة جذورها البنيوية تتطلب تفكيك الهياكل المعرفية والثقافية التي تنتج الصراع وتُعيد إنتاجه ، إن لهذه المقاربات تداعيات عميقة على العلاقات الدولية ، إذ يشجع هذا النهج على إعادة تقييم هياكل القوة والسعي لتحقيق العدالة الاجتماعية والتحرر و سيتم تفصيل ذلك في الفصل الثالث من الدراسة.

خلاصة الفصل :

يكشف هذا الفصل عن الأهمية المحورية للمفاهيم في تحليل الظواهر السياسية، مسلطًا الضوء على ضرورة التحكم المنهجي في الأدوات المفاهيمية لتعميق المعرفة السياسية. وقد انطلق من تتبع تطور مفهوم الأنطولوجيا، بدايةً من جذوره الفلسفية في الفكر اليوناني، وصولًا إلى تمثلاته المعاصرة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، حيث تبين كيف أن تطور هذا المفهوم أدى إلى ظهور أنماط أنطولوجية متعددة، تعكس اختلافات جوهرية في فهم طبيعة الواقع السياسي.

فبعد توسع مفهوم الأنطولوجيا "علم الوجود"، ليشمل دراسة كيفية تشكل الكيانات والمعاني داخل بنى القوة والمعرفة. ومن خلال هذا التحول، ظهر تمايز واضح بين أنماط أنطولوجية تفسيرية،

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 3.

ترى في الواقع بنية مادية قابلة للرصد والقياس، وأنماط أنطولوجية تكوينية تعتبر أن الواقع يُنتج اجتماعيًا من خلال المعاني والمعايير الثقافية. هذا التمايز في الأنطولوجيا يعكس في حقيقته بنية مفاهيمية تؤسس لانقسامات أعمق بين النظريات الكبرى في العلاقات الدولية.

و تأسيسا على هذا التعدد الأنطولوجي، رأينا كيف تنوعت كذلك مقاربات فهم الحرب. إذ ترتكز النظريات ذات الخلفية التفسيرية – النظريات الوضعية – على تصور الحرب كظاهرة مادية ومنظمة، تنبع من تضارب المصالح والقوة بين وحدات سياسية. أما النظريات التكوينية، وخاصة ما بعد الوضعية، فتفهم الحرب بوصفها بناءً اجتماعيًا معقدًا يتشكل عبر الثقافة، الأيديولوجيا، والهياكل الخطابية، معتبرة إياها صراعًا على المعنى أكثر من كونها مجرد صدام مادي.

وبهذا يوضح الفصل أن تعدد أنماط الأنطولوجيا لم يؤثر فقط على طبيعة التحليل النظري، بل أدى أيضًا إلى إعادة تعريف مفاهيم مركزية في حقل العلاقات الدولية، وعلى رأسها مفهوم الحرب. ومن ثم، يمكن القول أن فهم الحرب في العلاقات الدولية لا يمكن اختزاله في بعدها المادي فقط، بل يتطلب مقاربة أنطولوجية متعددة الأبعاد تأخذ في الحسبان تعدد وتعقيد أبعاد الظاهرة . وبذلك، قدم هذا الفصل إطارًا نظريًا متكاملًا يربط بين تطور المفهوم الأنطولوجي وتعدد دلالات الحرب، و يمهد بتوسيع أفق التحليل النظري للحرب داخل حقل العلاقات الدولية بين منظورات ذات أنطولوجيا تفسيرية و هو موضوع الفصل الثاني ، و منظورات ذات أنطولوجيا تكوينية و هو موضوع الفصل الثالث .

الفصل الثانـي

الدلالات الانطولوجية لظاهرة الحرب في المنظورات الوضعية

-انطولوجيا الصراع و التعاون -

الفصل الثاني : الدلالات الانطولوجية لظاهرة الحرب في المنظورات الوضعية

-انطولوجيا الصراع و التعاون -

يشكل هذا الفصل استكمالًا لفهم تأثير التيار الوضعي والفلسفة الحداثية في تشكيل التصورات المختلفة للظاهرة الحربية. حيث يركز التيار الوضعي على تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية من خلال أدوات علمية دقيقة وموضوعية، بعيدًا عن التأويلات الفلسفية أو الميتافيزيقية. ومن هذا المنطلق، يفسر التيار الوضعي الحرب باعتبارها ظاهرة تُحكم بقوانين طبيعية تتعلق بتفاعل القوى الدولية، وتستند مختلف النظريات الوضعية في العلاقات الدولية إلى هذه الرؤية المبدئية، حيث تُعتبر الحرب جزءًا من الأنطولوجيا الأساسية للنظام الدولي.

سيتم في هذا الفصل استكشاف تصورين رئيسيين لهذه الظاهرة في إطار الأنطولوجيا الوضعية، حيث يُحلل كل مبحث كيف أن هذه النظريات ترى الحرب بوصفها جزءًا من بنية النظام الدولي وطبيعة الفاعلين فيه.

في المبحث الأول، سيتم التركيز على الواقعية التي تعتبر الصراع والفوضى جوهر الوجود الدولي. و سيتم استعراض تصور الواقعية الكلاسيكية للإنسان ككائن مشبع بالصراع، وما ينتج عن ذلك من حتمية اندلاع الحروب في ظل غياب سلطة مركزية. كما سيتم التطرق إلى رؤية الواقعية الجديدة التي تعتبر الفوضى جزءًا لا يتجزأ من النظام الدولي ويُفترض أن الصراع هو المحرك الأساسي للعلاقات بين الدول.

المبحث الثاني سيتناول الليبرالية، حيث تُعتبر إمكانية التعاون كوجود سلمي من العناصر الأساسية. و سيتم في هذا المبحث عرض تصورات الليبرالية التي ترى في الفرد والمجتمعات الدولية محركًا رئيسيًا لتحقيق السلم، وكيف أن غياب التعاون بين الدول يؤدي إلى تصعيد الأزمات واندلاع الحروب. سيتم التطرق إلى نظرة الليبرالية للعلاقات الدولية كفضاء للتعاون وليس للصراع المستمر.

من خلال هذا الفصل، سيتم تسليط الضوء على كيفية تأثر هذه النظريات بالتيار الوضعي وفلسفته الحداثية في فهم الحرب، وكيف قدمت كل منها تفسيرًا مختلفًا لهذه الظاهرة بناءً على أنطولوجيتها الخاصة.

المبحث الاول : الانطولوجيا الواقعية :الصراع و الفوضى كجوهر الوجود الدولي

ظهرت النظرية الواقعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية بمواكبة أجواء دولية حبلى بالتوتر والصراع، وارتباطاً بتغيرات عميقة طالت بنية النسق الدولي وولجت به عصر الثنائية القطبية. واعتبرت النظرية الواقعية حين ظهرت بمثابة الثورة على التوجهات المثالية التقليدية التي هيمنت على تحليل العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، تُقدم النظرية الواقعية في كثير من الأحيان على انها النظرية الأقدر والأكثر مصداقية وفعالية في تحليل عالم السياسة الدولية و تفسير ظواهره و بخاصة ظاهرة الحرب لارتباطها بمفاهيم تقع في مركز الافتراض الواقعي . ولقد مرت الواقعية خلال العقود الستة المنصرمة بتطوارت انطولوجية هائلة واستحدث منظروها صوا رً عديدة لها في محاولات دائمة لإبقاء توجههم التحليلي في موقع الصدارة، والتصدي لحملات النقد التي لاحقت نظريتهم طيلة كل هذه العقود. وقد ارتأينا ان نتناول في هذا المبحث حول البعد الانطولوجي لاسباب الحرب في التنظيرالواقعي أن نتطرق لأبرز تيارين في المنظور الواقعي ألا وهما الواقعية التقليدية و الواقعية الجديدة او البنيوية في محاولة لتقفي أثر التطور الانطولوجي للنظرية في تصورها لأسباب ظاهرة الحرب .

المطلب الاول : الانطولوجيا التشاؤمية للطبيعة البشرية في الواقعية الكلاسيكية

أولا : تنامي التصور التشاؤمي للإنسان والدولة في أعقاب الحروب الكبرى

نشأت الواقعية الكلاسيكية في سياق فلسفي متشبع بنظرة تشاؤمية للطبيعة البشرية، مستلهمة أفكارها من تقاليد فلسفية تعود إلى ثيوسيديوس و توماس هوبز ونيكولا ميكيافيللي. وقد أعيد إحياؤها بشكل منظَّم في أعقاب الحرب العالمية الثانية، كردٍّ على فشل الليبرالية المثالية في الحيلولة دون اندلاع الحروب الكبرى.

لا شك أن التراكم المعرفي الذي أسس له فلاسفة الفكر الواقعي وكذا أحداث الحرب العالمية الثانية كانت دافعًا قويا لتطوير نظرية عقلانية تقوم على رؤية جديدة للعالم ،" يرى مورغانثاو أنها تنطلق من مبدأ أساسي يتمثل في أن هناك أشياء كثيرة في العالم لا نستطيع أن نغيرها، ومن الواجب علينا محاولة فهمها كما هي ".[1] أي دراسة الوجود بما هو موجود واستنباط القوانين الموضوعية التي تحكم واقع السياسة الدولية ،حيث الممارسة السياسية هي من تخلق النظرية بعد أن ثبت عجز النظرية في خلق ممارسة تنسجم مع افتراضاتها ، لذا ينبثق في صلب الواقعية الكلاسيكية تصوّر أنطولوجي خاص للوجود الدولي، يتأسس على قناعة راسخة مفادها أن القوة والصراع سمات ملازمة لطبيعة الإنسان والدولة على حدّ سواء .

ثانيا : البناء الأنطولوجي للمفاهيم الأساسية في الواقعية الكلاسيكية

يتمحور التحليل الواقعي حول مفاهيم مركزية لم تتغير بتغير و تطور النقاشات داخل المنظور الواقعي ذاته أبقت النظرية وفية لنواتها الصلبة (كما يسميها توماس كون) ، اذ ينطلق التصور الواقعي من مركزية الدولة كأساس أنطولوجي باعتبارها الفاعل الأهم في الساحة السياسية ، فهي الكيان الذي يجسّد الإرادة العقلانية الرشيدة التي تسعى بشكل دائم لتحقيق مصالحها في عالم لا تحكمه قوانين ملزمة و يتميزبغياب سلطة عليا تضبط سلوك الدول، لذى تفترض الواقعية أن النظام الدولي يُعد بطبيعته فوضويًا، مما يخلق حالة دائمة من عدم الثقة بين الفاعلين وتفضيل الاعتماد دوما على الذات (self–help). ومن هذا المنطلق، تسعى كل دولة إلى تعظيم قوتها كوسيلة لتحقيق توازن قوى يوفر أمنها ويضمن بقائها.

في حين اشتهر العديد من الدارسين في السياسة بهذا التوجه الواقعي في تصورهم للعلاقات الدولية ، من أمثال إدوارد هاليت كار Edward Hallet Carr ، و نيكولاس سبيكمان Nicholas Spykman، وريمون آرون Raymond Aron ، و أرنولد ولفرز Arnold Wolfers، و جورج كينانGeorge Kennan و غيرهم ، "فإنه يُنظر على نطاق واسع إلى هانز مورغانثاو باعتباره مؤسس النظرية الواقعية الكلاسيكية ومُرسي دعامتيها التحليليتين

[1] -محمد فرج أنور ، النظرية الواقعية في العلاقات الدولية : دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة ،مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية : السليمانية ، سنة 2008 ، ص 221 .

الرئيسيتين؛ القوة والمصلحة القومية".[1] اذ يعتبر الكثيرون أن كتابه الشهير " السياسة بين الأمم " هو البداية الفعلية للنظرية الواقعية في تحليل السياسة الدولية .

إن من يجري قراءة مسحية على أبرز أعمال الواقعيين البارزين ، وأبرزهم أعمال مورغانثاو ، فإنه سيدرك فورا أن نظرتهم الكاملة للسياسة الدولية استندت إلى فرضية جوهرية مفادها أن الإنسان بطبيعته ميّال إلى الأنانية وحب السيطرة. وقد تبنّى هانز مورغنثاو هذا التصور حين اعتبر أن السياسة الدولية هي انعكاس مباشر لنزعة الإنسان إلى تعظيم سلطته، فالطبيعة البشرية هي صلب نظريته في السياسة الدولية وهي من وراء كل شيء آخر، أو على حد قوله : " في الطبيعة البشرية تجد القوانين الحاكمة للسياسة الدولية جذورها"[2]، وكذلك " :العالم هو نتاج للقوى الكامنة في الطبيعة البشرية"[3]

يرى هانز مورغنثاو بناءً على هذا التصور للطبيعة البشرية، أن الدولة في الواقعية الكلاسيكية امتداد لتلك الدوافع في المجال السياسي وأن سلوكها الخارجي ليس سوى انعكاس لتلك النوازع الكامنة في النفس البشرية ، وان كانت السلطة في النظام الداخلي قادرة على التحكم في تلك النوازع فإن فوضوية النظام الدولي سمحت للذات البشرية ان تعبر عن نفسها كما يقول باترفيلد Butterfieldفي ذات السياق : "في داخل الدولة يتم ترويض الطبيعة البشرية من قبل السلطة السياسية القائمة، أما في البيئة الدولية فإن الفوضى لا تسمح فحسب بظهور آثار طبيعة البشر بل إنها تحفز أسوأ جوانب الطبيعة البشرية لكي تعبر عن نفسها"[4]. وبذلك، تتحول الدولة في هذا الإطار الأنطولوجي إلى وحدة مغلقة، لا تعبأ إلا بذاتها و تحقيق مصالحها، وتتحرك في فضاء دولي فوضوي تسوده غريزة البقاء وتوازن القوى.

[1]- أحمد محمد وهبان، "النظرية الواقعية و تحليل السياسة الدولية من مورجنثاو إلى ميرشايمر: دراسة تقويمية" ، ص 14 .

[2] -Hans J. Morgenthau, Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace, 6th ed. (New York: Alfred A. Knopf, 1985),p 4.

[3] -Ibid, p 7.

[4] - أحمد محمد وهبان، مرجع سابق ، ص 17 .

إن أنطولوجيا الدولة المجسدة للطبيعة البشرية الثابتة في الواقعية الكلاسيكية تصوّرالدولة كفاعل مبرمج على الصراع، في بيئة دولية تُعيد إنتاج التهديد بشكل مستمر. وهذا ما يجعل من الفعل السياسي الدولي مجالا مفتوحًا أمام تفاعلات الردع والهيمنة، لا أمام إمكانيات الثقة أو التعاون .

ثالثا : الحرب في الواقعية الكلاسيكية: تحليل للأبعاد الأنطولوجية في النظرية

في قلب التحليل الواقعي الكلاسيكي، لما كان الافتراض المركزي حول طبيعة البشر التي تنزع دوما الى السطوة و تدفعهم الى تملك القوة كهدف أولي وسط سياقات نسقية فوضوية فإنه يُنظر إلى الحرب كحتمية أنطولوجية في العلاقات الدولية، لا ترتبط بظروف استثنائية أو فشل في السياسة الدولية، و انما هي نتيجة مباشرة لطبائع النظام الدولي ذاته. تُفهم الحرب في هذا الإطار كضرورة وجودية للواقع الدولي، نابعة من الصراع المستمر على القوة، وهو ما يعكس في جوهره الأنانية والتنافس البشري الذي لا مفر منه ، وفي ذات السياق "يذكر ستيفن والت أن الواقعيين الكلاسيكيين حال هانز مورجنثاو ورينولد نيبور يرون أن الدول، مثل البشر، لديها رغبة فطرية في الهيمنة على الآخرين، وأن هذه الرغبة هي ما يدفع الدول نحو الحرب "[1]

يستند منظّر الواقعية الكلاسيكية هانز مورغنثاو على دعامتين تحليليتين رئيسيتين : القوة و المصلحة القومية (كما أسلفنا الذكر) و على هذا الأساس التحليلي يرى الواقعيون أن" السبب الشائع لتفسير ذهاب الدول وانخراطها في الحروب، يرجع لرغبتها في نشر وتعزيز قوتها الوطنية من ناحية، أو لتعزيز وتوسيع مصالحها الوطنية من ناحية أخرى "[2]. فالدول في سعيها إلى تعزيز قوتها لتحقيق مصالحها تتصادم بالضرورة مع غيرها من الدول. ولأن النظام الدولي يفتقر إلى سلطة مركزية تنظّم العلاقات بين الدول، فإن المحدد الرئيسي للعلاقات بين الدول وللسلوك الدولي بوجه عام، هو شكل توزيع القدرات داخل بنية النظام الدولي ، و في هذا الصدد يرى مورغانثاو أن" السياسة الدولية مثلها مثل جميع أنواع السياسة، ما هي إلا صراعاً على القوة ، مهما كان الهدف النهائي للسياسة الدولية، فإن القوة هي دائمًا الهدف المباشر. "[3]

[1] - نفس المرجع ، ص 21 .

[2] - Seyom Brown*: "*The Causes and Prevention of War". (New York: St. Martin's Press*, 1987), p. 49.*

[3] - Hans J. Morgenthau, Politics Among Nations. P 31 .

وهو الصراع الذي يجعل امكانية اندلاع الحروب وارد بصورة دائمة، وبأن هذه الاحتمالية تعيد انتاج نفسها وفق نمط متكرر و مستمر ، فالحرب في هذا السياق هي تعبير عن الوجود ذاته في عالمٍ فوضوي.

تأسيسًا على هذا التحليل، تُعد الحرب في الواقعية الكلاسيكية مستمرّة بطبيعتها، لأنها لا تقوم فقط على الصراع الظرفي بين الدول، بل على الواقع الأنطولوجي الذي يتضمن فيه – الإنسان الشرير – والدولة كإسقاط لهذا الإنسان تعبر عن طبيعة من التنافس والتسلح و الصراع في حالة يصفها هوبز بأنها تفضي الى حرب الجميع ضد الجميع .

رابعا : حدود التصور الأنطولوجي للواقعية الكلاسيكية

على الرغم من القوة النظرية للواقعية الكلاسيكية التي اعتمدت على دراسة الواقع كما هو موجود للكشف عن القوانين الموضوعية التي تحكم ظواهر الصراع والحرب ، و محاولة مورغانثاو صياغة نظرية عامة للعلاقات الدولية تخضع لتلك القوانين ، إلا أن بعضا من افتراضاتها المركزية لم تخلو من نزعة ميتافيزيقية ، فالتصور الذي قدمته النظرية حول طبيعة الانسان يفتقر للمعايير العلمية الصارمة و يطرح تساؤلات حول كيفية التحقق علميا من الطبيعة الشريرة للبشر و كيف يمكن التأكد من ثبوتها ، وهذا ما دفع الليبرالي جستن روزنبرج Justin Rosenbergالى التعليق بسخرية على مقولات هانز مورجنثاو بقوله " كانت لدي مورغانثاو آراء غير محبّذة وغير ناضجة إلى حدّ ما عن الطبيعة البشرية، كما كانت لديه عادة محرجة في عرض هذه الآراء كأساس فلسفي للواقعية. "[1]

في الوقت الذي تعترف فيه الواقعية الكلاسيكية بأن الحرب تمثل حتمية في نظام دولي فوضوي، لا تقدّم إطارًا لفهم التحولات الدائمة التي يمكن أن تؤدي إلى استقرار دولي أو حتى لتغيّر بنيوي في الأنظمة الدولية. فالبحث عن "الحرب كضرورة" قد يحدّ من قدرة النظرية على التكيف مع المتغيرات المعاصرة، مثل تطور ترتيبات التكامل والتعاون الاقتصادي، والشبكات

[1] - Keith L. Shimko, "Realism, Neorealism, and American Liberalism," The Review of Politics 54, no. 2 (Spring 1992): p 292.

الدولية التي يمكن أن تقلل من الصراعات.

لذى يُمكن أن يُطرح تساؤل حول مدى قدرة الواقعية الكلاسيكية على تفسير الظواهر الدولية التي تُظهر وجود تعاون وصيغ سلمية بين الدول .

واجهت الواقعية الكلاسيكية مأزقًا أنطولوجيًا باعتمادها على مفاهيم غير قابلة للقياس التجريبي، كالطبيعة البشرية العدوانية ، مما جعلها عرضة لانتقادات تتعلق بالغموض المفاهيمي والافتقار إلى الأسس العلمية الصارمة. هذا النقد دفع الواقعيين إلى تطوير مقاربة أكثر انضباطًا، قادت إلى ظهور الواقعية الجديدة أو البنيوية

المطلب الثاني : الفوضى كحتمية انطولوجية في الواقعية الجديدة

أولا : ولادة النسق العلمي للواقعية في ظل الحرب الباردة

تأسست النظرية الواقعية الجديدة على يد كينيث والتز Kenneth Waltz ، حيث أودعها كتابه الشهير المعنون بنظرية السياسة الدولية Theory of International Politics ؛ والصادر عام 1979 و يطلق على هذه النظرية أيضاً الواقعية البنيوية ، وأحياناً الواقعية النسقية ،[1] تمثلت النظرية رد فعل على ما اعتُبر قصورًا في الواقعية الكلاسيكية في تفسير سلوك الدول ضمن النظام الدولي. وقد جاء ظهورها في بيئة معرفية متأثرة بإفرازات الثورة السلوكية في العلوم الاجتماعية ، لا سيما من حيث تبني منهجية أكثر علمية وتجريدية في بناء النظريات و الاستعانة بأدوات مفاهيمية جديدة . فقد أسهمت السلوكية في إدخال مفهوم "النظام" إلى حقل العلاقات الدولية، وهو المفهوم الذي اعتمده كينيث والتز كأساس لبناء نظريته البنيوية ، ومن أهم ما ميز الواقعية الجديدة من الناحية المعرفية هو تأثرها بمنهج الوضعية العلمية الحديثة، إذ سعت إلى بناء نظرية ذات طابع علمي، تدرس العلاقات الدولية كما تدرس العلوم الطبيعية الظواهر الفيزيائية عبر فرضيات قابلة للاختبار ومنطق سببي صارم.

ولم تكن نشأة النظرية بمعزل عن تأثيرات السياق السياسي والتاريخي الذي ولدت فيه ، فقد جاءت الواقعية الجديدة في ظل التوترات المستمرة في الحرب الباردة، وفي سياق التحولات

[1] - أحمد محمد وهبان ، مرجع سابق ، ص 23 .

التكنولوجية والعسكرية التي أعادت تشكيل موازين القوة، مما عزز الحاجة إلى نظرية تفسر سلوك الدول انطلاقًا من موقعها داخل بنية النظام الدولي بدلًا من طبيعتها الداخلية. لهذا فالفرضية الجوهرية هنا هي أن الفوضى –أي غياب سلطة مركزية عالمية– هي السمة البنيوية الثابتة التي تفرض على الدول سلوكًا تنافسيًا، وتعيد إنتاج منطق الصراع، بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسي.

ثانيا : البناء الأنطولوجي للمفاهيم الأساسية في الواقعية الجديدة

على الرغم من أن الواقعية الجديدة تُعدّ تطورًا داخل المنظور الواقعي، فإنها لم تُحدث قطيعة تامة مع الواقعية الكلاسيكية، بل حافظت على قدر من الاستمرارية، لا سيما في اعتبار الدولة الفاعل الأساسي في النظام الدولي. ومع ذلك فهناك اختلافات جوهرية بين الواقعيتين، وتتمثل الفجوة الأساسية بينهم في الإجابة عن تساؤل بسيط ولكنه مهم ألا وهو لماذا تريد الدول القوة ؟[1] أو ما الذي يفسر سلوك الدولة في الساحة الدولية ؟ [2] لم تعد الدولة في الواقعية البنيوية مركز التفسير، فقد جاءت الواقعية الجديدة لتُعيد صياغة أدوات التحليل من خلال الانتقال من التركيز على طبيعة الدولة ودوافع قادتها إلى تحليل بنية النظام الدولي باعتباره المحدد الأبرز لسلوك الدول. وبهذا الانتقال، أحدثت الواقعية الجديدة تحولًا إبستيمولوجيًا في مستوى التفسير ونقلة منهجية في وحدة التحليل ونمط بناء المعرفة، حيث تحول الاعتماد على المتغيرات الداخلية كمصدر لتفسير السلوك، إلى البيئة الفوضوية للنظام الدولي وتوزيع القدرات بين الوحدات. ، ولم يعد منطق "وحدة التحليل" يرتكز على الدولة ككيان داخلي يتجسد امتداده على الساحة الدولية و انما موقع الدولة ضمن البنية الخارجية هو من يحكم سلوكها وفق منطق البقاء وتوازن القوى وبهذا تحول التركيز من الطبيعة البشرية في الواقعية الكلاسيكية الى فوضوية النظام في الواقعية الجديدة .

[1] - John Mearsheimer, "Structural Realism," in International Relations Theories: Discipline and Diversity, 3rd ed., eds. Tim Dunne, Milja Kurki, and Steve Smith (Oxford: Oxford University Press, 2013), p77.

[2]- Keith L. Shimko, Realism, Neorealism, and American Liberalism," p294 .

ترتكز واقعية والتز على عدد من المفاهيم الجوهرية التي تشكل بنيتها الأنطولوجية و لعل أبرزها كما يقول ميرشايمرأن " نظرية والتز تقوم على افتراضين بسيطين؛ أولهما أن الدول هي الكيانات الفاعلة الرئيسية في السياسة الدولية، كما أنها تعمل في ظل نسق فوضوي؛ حيث لا سلطة عليا فوقها .وأما الافتراض الثاني فقوامه أن الدافع الأساسي للدول هو البقاء، والذي يمكن ترجمته بسعي الدول إلى حماية سيادتها .وبالتالي فإن كل دولة معنية كثيرا بموقفها في ميزان القوة الدولي، حيث تسعى دوماً إلى أن تكون في حال تفوق نسبي إزاء منافسيها المحتلمين، إذ أن من شأن ذلك أن يعزز من فرصها في البقاء" [1].

اذن وفي هذا السياق، تصبح الفوضى بنية وجودية، تمثل الحالة الطبيعية للنظام الدولي. ولو أن مفهوم الفوضى موجود كذلك في التحليل الواقعي الكلاسيكي الا ان رؤية كل نظرية للطريقة التي تتفاعل بها الدول مع حالة الفوضى على المستوى الدولي تتمايز ،" فبالنسبة للواقعيين التقليديين تمثل الفوضى حالة النسق والدول تتفاعل في ظلها معتمدة على حجمها، وموقعها، وقوتها الداخلية، وقدرات القيادة السياسية .بينما يرى الواقعيون الجدد أن الفوضى تسود النسق وتقيد تصرفات كافة الدول على حد سواء وأياً كان حجم قدراته".[2] وتبعًا لذلك فإن بنية النسق الدولي هو الذي يفرض على الدول مواصلة السعي إلى القوة. و تجدر الإشارة هنا كذلك الى الاختلاف بين الواقعتين في منظورهما للقوة اذ " نجد الكلاسيكية تنظر إلى القوة باعتبارها هدفاً في حد ذاتها، بينما تعتبر الواقعية الجديدة أن القوة ليست مجرد هدف وإنما هي وسيلة كذلك ".[3]

بهذا الترابط، تُظهر الواقعية البنيوية منطقًا متماسكًا تُشتق فيه المفاهيم الأساسية — كالاعتماد على الذات، والمعضلة الأمنية، وتوازن القوى — من البنية الفوضوية للنظام الدولي، ويُشكّل هذا التحول في منطق التفسير نموذجًا إبستيمولوجيًا مميزًا داخل حقل العلاقات الدولية، يُعيد تعريف الفاعلية السياسية من خلال موقعها البنيوي. بالتالي، تقدم الواقعية الجديدة فهمًا

[1] - John J. Mearsheimer, "Reckless States and Realism," International Relations , vol 23, no. 2 (June 2009): p 242.

[2] - احمد محمد وهبي ، مرجع سابق ص 26 .

[3] - نفس المرجع ، ص 26 .

أنطولوجيًا محوره أن الحرب والصراع ليسا نتيجة شر أو طمع بشري كما ترى الواقعية الكلاسيكية، بل نتيجة حتمية لبنية النظام الفوضوي، الذي يُنتج أنماطًا متكررة من الشك والتنافس والبحث عن الأمن.

ثالثا : الحرب في الواقعية البنيوية: تحليل للأبعاد الأنطولوجية في النظرية

تعزو الواقعية البنيوية سبب الصراع الى التركيب الفوضوي للنظام العالمي الذي يحول دون الدخول في اتفاقيات تعاونية لانهاء الحرب ، و بهذا يمكن أن يدفع تركيب ذلك النظام الدولي نحو الحرب حتى لو كان زعماء هذه الدول يرغبون في السلام [1]. فالحرب في التحليل البنيوي هي نتيجة ضرورية تفرضها بنية النظام الدولي الفوضوي و ليست خيار عرضي تتخذه الدول في لحظات توتر.

في هذا السياق، يقدم كينيث والتز تفسيرًا مغايرًا للواقعية الكلاسيكية ؛ إذ لا يفسر الحرب انطلاقًا من "الطبيعة البشرية" و انما من خلال موقع الدولة في النظام الدولي غير المركزي، حيث تُجبر على العمل وفق منطق البقاء في بيئة عدائية.

تحاجج الواقعية الجديدة أن غياب السلطة العالمية يخلق حالة من القلق الوجودي لدى الدول و الشعور باللأمن ، مما يدفعها إلى التصرف وفق مبدأ الاعتماد على الذات (self–help) لا يُشير هذا المبدأ إلى الاستقلالية في صنع القرار فحسب ، بل يعكس بنية تُجبر الدول على التصرّف بأنانية وحيطة، اذ " لا يمكن تحقيق الأمن الا بالعون الذاتي أو الاعتماد على النفس ، لكن أي دولة معنية ستذكي نار انعدام الأمن تلقائيا لدى دول أخرى في سياق سعيها الى تحقيق الأمن لنفسها ، و المصطلح الذي يطلق على السلسلة المتصاعدة من حالات انعدام الامن هو المعضلة الأمنية " [2]. وهكذا تتكرّس حلقة من الشك و انعدام الثقة تُحوّل الإجراءات الدفاعية إلى مصدر تهديد، وتُنتج ديناميكية تصعيدية تُفاقم التوترات، وتُقوّض فرص التعاون. ويُعَدّ هذا الفهم محوريًا في الواقعية البنيوية، لأنه يُبرز كيف يمكن لبنية النظام أن تفرض منطقًا تصادميًا على الوحدات.

[1] - بيليس جونس ، سميث ستيف ، عولمة السياسة العالمية ، (ط: 1 ، ت و نشر : مركز الخليج للأبحاث ، سنة : 2004) ، ص 235 .
[2] - نفس المرجع السابق ، ص 245- 246 .

في مواجهة هذه الديناميكية، ينظر الواقعيون إلى آلية توازن القوى(balance of power) ، في اطار نظام العون الذاتي كوسيلة بنيوية لتنظيم الصراع والحفاظ على الاستقرار. ويعتقد والتز بأن موازين القوى تنشأ بصرف النظر عن نوايا أي دولة بعينها [1]. وفقًا لهذا المنطق، فإن الدول تسعى، فرادى أو من خلال التحالفات، إلى موازنة القوة المتنامية لدولة منافسة منعًا لاختلال التوازن ، فإذا كان التوازن ملازما للقوة فإن الحرب ملازمة كذلك لاختلال التوازن ، فعندما تميل كفة القوة الى أحد الأطراف المُشَكلة للتوازن تصبح إمكانية إنلادع الحرب كبيرة .[2]

وفقًا لهذا التحليل، فإن الحرب تكون نتاج تلقائي لسلوك عقلاني من قبل وحدات تسعى إلى تأمين ذاتها ضمن نظام غير خاضع للضبط. كما أن الواقعية الجديدة تؤكد أن توزيع القدرات (القوة) في النظام الدولي هو عامل محدد في تفسير احتمالات اندلاع الحرب. بالتالي، يمكن القول إن الواقعية الجديدة تقدم تفسيرًا بنيويًا للحرب، يقوم على فكرة أن طبيعة النظام الدولي هي التي تُنتج النزاعات، حتى في غياب النوايا العدوانية، وهو ما يجعل الحرب ظاهرة ملازمة للطبيعة النظام الدولي .

رابعا: حدود التصور الأنطولوجي للواقعية البنيوية

رغم القوة التفسيرية التي تتمتع بها الواقعية الجديدة، لا سيما في تحليل سلوك الدول الكبرى ضمن النظام الدولي، فإنها لم تسلم من نقد واسع، سواء من داخل التيار الوضعي نفسه أو من خارجه.

أول مظهر من مظاهر هذا النقد يتمثل في الاختزال البنيوي الذي تمارسه، إذ تُرجع الظواهر المعقدة كالحرب والتعاون والصراع إلى عامل واحد مهيمن :بنية النظام الفوضوي، متجاهلة بذلك تأثير العوامل الداخلية للدول، والأفكار، والثقافة السياسية، وحتى إرادة الفاعلين ، وهذا سبب فشلها في توقع انهيار الاتحاد السوفياتي و نهاية الحرب الباردة ، الامر الذي تداركته فيما بعد الواقعية الكلاسيكية الجديدة .

[1] - نفس المرجع السابق ، ص 246 .

[2] - محمد الطاعر عديلة ، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية : دراسة في المنطلقات و الأسس ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، جامعة باتنة ، سنة 2015 ، ص 210 .

كما يُؤخذ عليها نزعتها الحتمية، حيث تفترض أن الفوضى تؤدي دائمًا إلى سلوك تنافسي ومهدد للاستقرار، ما يجعل إمكانية السلام أو التعاون المستدام شبه مستحيلة، وهو ما تعارضه نظريات ليبرالية وحتى تجريبية أثبتت حالات تعاون ناجحة في ظل غياب سلطة مركزية (مثل الاتحاد الأوروبي أو الاتفاقيات الأمنية الإقليمية).

أخيرًا، يشير بعض النقاد إلى أن الفوضى ليست بالضرورة معطى أنطولوجي حتمي، قد تكون نتيجة تصورات سائدة عن غياب السلطة، ويمكن إعادة تشكيل هذه التصورات عبر مؤسسات أو أطر تعاون، وهو ما سيُطرح لاحقًا في الفصل الثالث في النظريات ما بعد الوضعية.

المبحث الثاني : الانطولوجيا الليبرالية : التعاون بنية وجودية تحقق السلام

في حين ركزت أدبيات العلاقات الدولية فى المدرسة الواقعية على دراسة "سبب قيام الحروب" أو متى (When) تنشب الحروب، .فإن الليبراليين برعوا في مجال "أثر الحرب "أو ما الذي تسببه الحروب(What) وما هي عواقبها[1]، لهذا ينصرف الجهد التنظيري الليبرالي الى دراسة أليات الحد من الحروب و منع حدوثها ، غالبا ما يساوي منظروا العلاقات الدولية بين الليبرالية و السلمية أو الرغبة في إلغاء الحرب [2]. يجادل لودفينغ ميزس أن الهدف النهائي للسياسة الخارجية الليبرالية هو تحقيق السلام بين الدول [3].

أن ما يُعرف بـ"دراسات السلام" هو في جوهره يُعد فرعًا من دراسات الحرب؛ فهو لا يُعد مبحثا في السلام بوصفه حالة طبيعية تعبر عن غياب الحرب و العنف ، بقدر ماهو تحليلٌ نقدي لبنية الصراعات وأسبابها، مما يجعل دراسة الحرب جزءًا جوهريًا منها. في هذا السياق، تطرح الليبرالية، بصيغتيها الكلاسيكية والجديدة، تصورًا مغايرًا لمعنى التعاون وممكنات السلام، باعتباره إمكانية تنبع من عقلانية الإنسان و من قدرة المؤسسات الدولية على تنظيم الفوضى.

[1] - محمد أحمد أبوزيد ، نظريات العلاقات الدولية والحرب :مراجعة للأدبيات ، مجلة الناقد للدراسات السياسية ، العدد الأول ، أكتوبر 2017 ، ص 18-19 .

[2] - Edwin van de Haar, Classical Liberalism and International Relations Theory (New York: Palgrave Macmillan, 2009), p 63 .

[3] - Edwin van de Haar, Human Nature and World Affairs: An Introduction to Classical Liberalism and International Relations Theory (London: Institute of Economic Affairs, 2023), p 81 .

المطلب الاول : الفرد أساس الوجود السلمي في الليبرالية الكلاسيكية (الفرد وحدة انطولوجية بدلا من الدولة)

أولا : عصر الأنوار مخاض فكر الحداثة و مهد الليبرالية الكلاسيكية

كانت الليبرالية، من بين أكثر النظريات انتشارًا منذ نشأة العلاقات الدولية كتخصص أكاديمي، وغالبًا ما تُقدم على أنها نقيض الواقعية. وهي على ما يبدو أن العديد من الباحثين يتفقون عليه هو أنها من أكثر تقاليد الفكر تأثيرًا في عصر التنوير الأوروبي ، وُلدت الليبرالية في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر، متأثرةً بالعديد من التخصصات المترابطة حتى يومنا هذا. وتعود أصولها إلى جون لوك، وآدم سميث، وجيريمي بنثام، وإيمانويل كانط، وجون ستيوارت ميل، من بين العديد من العلماء البارزين. وقد ساهم بعضهم مساهمة واسعة في ما يُسمى بعصر العقل، الذي شكّل أفكار المنظرين الليبراليين، بدءًا من المجال الاقتصادي والتجاري، ثم نشر هذا التخصص الليبرالي في السياسة والممارسات الحكومية.[1] ، وقد شهدت هذه فترة شهدت تحولات جذرية في الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وتميزت بتصاعد قيم الفردانية والعقلانية والحقوق الطبيعية وتراجع الإقطاعية وهيمنة الكنيسة.

ارتبط ظهور الليبرالية الكلاسيكية ارتباطًا وثيقًا بالثورات البرجوازية، في أوروبا ، حيث سعت هذه الثورات إلى تقويض السلطة المطلقة للملوك والنبلاء وإرساء مبادئ الحكم الدستوري والفردية وحقوق الإنسان. تزامن ذلك مع بداية الثورة الصناعية التي أدت إلى تغييرات اقتصادية واجتماعية جذرية، ونمو الطبقة الوسطى التي تبنت الأفكار الليبرالية.

جاءت الليبرالية الكلاسيكية كامتداد للفكر الحداثي، مستمدة أسسها المعرفية من الفلاسفة الليبراليين الكلاسيكين . ولا تستند هذه النظرية إلى الاستدلال بمبادئ مجردة، بل هي في الأساس "مستخلصة" من كُتّاب الليبرالية الكلاسيكية: ديفيد هيوم، وآدم سميث، ولودفيغ فون ميزس، وفريدريك هايك .[2] ومن قبلهم جون لوك و ايمانويل كانط (كما ذكرنا) الذين قدّموا

[1] - Amedeo Gasparini, "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation: Classical Liberalism's Theoretical Elements to Prevent War," Opinio Juris, last modified April 24, 2023, https://www.opiniojuris.it/opinio/free-trade-institutionalism-and-cooperation-classical-liberalism-theoretical-elements-to-prevent-war/

[2]- Edwin van de Haar, Human Nature and World Affairs, p 159 .

تصورًا عقلانيًا ومتفائلًا للطبيعة البشرية ، و أكدوا على أهمية الحرية الفردية والأسواق الحرة وان الدول قادرة على التعاون و تحقيق السلام إذا ما توفرت لها الظروف المناسبة ، كما وضح كانط في أطروحته حول "السلام الدائم".

ثانيا: البناء الأنطولوجي للمفاهيم الأساسية في الليبرالية الكلاسيكية

ترتكز الليبرالية الكلاسيكية على تصور أنطولوجي مغاير تمامًا للواقعية، إذ لا تنظر إلى الدولة بوصفها الوحدة الأنطولوجية الأساسية في النظام الدولي، بل تُعيد مركز الثقل إلى الفرد باعتباره الكائن العقلاني القادر على التعاون مع الآخرين. في هذا السياق، تصبح الحرية الفردية، والحقوق الطبيعية، والكرامة الإنسانية مفاهيم أنطولوجية تأسيسية للفكر الليبرالي .

تتقاطع الليبرالية الكلاسيكية مع الواقعية الكلاسيكية حول أهمية الطبيعة البشرية في تحليل السياسة الدولية . فبالنسبة لليبرالية الكلاسيكية في العلاقات الدولية، يُعدّ الإنسان محور الخطاب السياسي[1].، اذ تُعد وجهات النظر حول الطبيعة البشرية أمرًا بالغ الأهمية ، لأن جميع السياسات الدولية تدور حول الأنشطة البشرية.[2] غير أنها على عكس الواقعية تتبنى تصورا عقلانيا و متفائلا حول الطبيعة البشرية ، و تُؤكد على قدرة البشرية على التطور والتقدم عبر التاريخ وإدارة الاختلافات في المجتمع ،وتعتقد كذلك بفرصة الأفراد لزيادة منفعتهم – من حيث التفضيلات والنتائج السياسية. ولتحقيق حريته في المجالات التي يعمل فيها، يحتاج الفرد إلى التعاون لتحقيق أقصى منفعة. والتعاون ضروري لتحقيق النتائج الفردية، مما يؤدي إلى الترابط والسلام بين الأطراف الفاعلة [3].لذلك فإن المبادئ الأولى لليبرالية الكلاسيكية و هدفها الرئيسي هو تأمين و تعزيز الحرية الفردية .[4]

على صعيد الدولة، تعتبر الليبرالية الكلاسيكية أن الدولة ليست كيانًا فوقيًا، بل هي نتاج إرادات الأفراد وتهدف إلى حماية حقوقهم وحرياتهم. لا تحظى الدولة كفاعل مستقل بالسطلة المطلقة في سلوكها اتجاه الأفراد أو الدول الأخرى. فقد انبثقت الليبرالية الكلاسيكية من ضرورة تطبيق

[1] - Gasparini, "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation."

[2] - Edwin van de Haar, Human Nature and World Affairs , p xv-xvi .

[3] - Gasparini, "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation."

[4] - Edwin van de Haar, Human Nature and World Affairs , p 159 .

مفهوم سيادة القانون وحصر الدولة ضمن الحدود اللازمة، بما يسمح للفرد بتحقيق رغباته. تدعو الليبرالية الكلاسيكية إلى دولة محدودة الصلاحيات (...) مما يمنع الحكومة من الاستيلاء على كامل السلطة السياسية [1].حتى و ان اختلف الليبراليون الكلاسيكيون حول الدور الدقيق للدولة، لكنهم يأملون عمومًا في الحد من استخدام القوة، سواء من جانب الأفراد أو الحكومات. إنهم يطالبون بدول صغيرة تلتزم بالحدود بموجب قواعد معروفة. لا تكمن المشكلة الرئيسية في السياسة في كيفية اختيار القادة، وإنما في كيفية كبح جماحهم فور توليهم السلطة .[2]

في النظام الدولي و على النقيض من التصورات الواقعية لا تؤمن الليبرالية الكلاسيكية بالطبيعة الفوضوية للنظام بل تعتبره ساحة قابلة للتنظيم عقلانيًا وأخلاقيًا، من خلال الأنظمة التمثيلية و الاقتصاد الحر و المؤسسات الدولية السياسية و القانونية ، و يمكن القول ان الليبرالية الكلاسيكية تفترض إمكانية تحقيق السلام الدائم من خلال العناصر الرئيسية التالية:

نظرية السلام الديمقراطي، وبصورة أعم، تأثير أنواع الأنظمة السياسية المحلية والسياسات الداخلية على العلاقات الدولية .

نظرية السلام التجاري، التي تجادل بأن للتجارة الحرة آثارًا مُسالمة على العلاقات الدولية.

نظرية السلام المؤسسي، التي تحاول توضيح كيفية استدامة التعاون في ظل الفوضى، وكيف يمكن السعي وراء المصالح طويلة الأجل بدلًا من المصالح قصيرة الأجل، وكيف يمكن للجهات الفاعلة تحقيق مكاسب مطلقة بدلًا من السعي وراء مكاسب نسبية . وفي سياق متصل، تأثير المنظمات الدولية على السياسة الدولية، سواءً من حيث دورها كمنتديات تسعى فيها الدول لتحقيق مصالحها، أو من حيث كونها فواعل مستقلة بحد ذاتها ؛ و أخيرا دور القانون الدولي في تعديل سلوك الدولة أو تقييده [3].

[1] - Gasparini, "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation."

[2] - إيمون باتلر، مدخل إلى الليبرالية الكلاسيكية، ترجمة جماعية، مراجعة أحمد رضا (بيت الحكمة، 2015) ، ص 9 .

[3] - "Liberalism (International Relations)," Wikipedia, last modified May 10, 2024, https://en.wikipedia.org/wiki/Liberalism_(international_relations) .

بذلك، فإن الليبرالية الكلاسيكية تقدم تصورًا أنطولوجيًا يفترض أن العالم ليس محكومًا بحتمية الفوضى، بل يمكن تنظيمه عقلانيًا عبر مؤسسات، وقوانين، ومجتمعات مدنية واعية، تجعل من الحرب استثناءً لا قاعدة.

ثالثا : الحرب في الليبرالية الكلاسيكية: تحليل للأبعاد الأنطولوجية في النظرية

ترى الليبرالية الكلاسيكية أن الحرب ليست أمرا حتميا، ويمكن تخفيض معدلات وقوعها من خلال استأصال الظروف الفوضوية التي تشجع الحروب.[1] فالحرب هي نتاج عوامل محددة (ظروف استثنائية) يمكن التغلب عليها عبر :

– انتشار الديمقراطية:

يشدد غالبية الليبراليين على أن الديمقراطية هي السبب الرئيسي في تراجع وتيرة الحروب بين الدول الديمقراطية والصناعية المتقدمة، وبين غالبية دول العالم في العموم. حيث يفترض الليبراليون بأن الديمقراطية تجعل قادة الدول الديمقراطية، يتوقعون جيدا أنهم يجب أن يكونوا قادرين على حل خلافاتهم مع قادة الدول الديمقراطية الأخري من خلال الوسائل السلمية[2]

الدول الديمقراطية أقل ميلًا للدخول في حروب بسبب وجود قيود مؤسسية ورقابة شعبية وثقافة سياسية سلمية و تعتبر الأنظمة الاستبدادية، أكثر عرضة للانخراط في الحروب. يرجع ذلك إلى غياب الشفافية والمساءلة، وإمكانية اتخاذ القرارات بناءً على أهواء القادة ومصالحهم الخاصة على حساب شعوبهم ، و حسب الليبراليين ، تتمثل أفضل وسيلة لتأمين السلام بنشر المؤسسات الديمقراطية على نطاق العالم.[3] لأن قادة الدول المنتخبة يُحاسَبون من طرف شعوبهم، مما يجعلهم أكثر تردًا في اتخاذ سياسات صدامية مع دول أخرى ،و تأكيدا على ذلك

[1] - محمد أنور فرج ، مرجع سابق ، ص 276 .
[2] -محمد أحمد أبوزيد ، مرجع سابق ، ص 27 .
[3] -محمد أنور فرج ، مرجع سابق ، ص 276 .

إقترح أدم سميث أن تُدفع تكاليف الحروب من خلال الضرائب التي يشعر بها الجمهور فورا ، مما سيقلل بالتأكيد الرغبة في الحروب و سيحدد من مدتها [1].

من ناحية أخرى الديمقراطيات تشترك في قيم سياسية مشتركة، مما يسهل التواصل وحل النزاعات بينها سلميًا. ولعل أهم هؤلاء القائلين بذلك هم أنصار نظرية "السلام الديمقراطي" ولا يزال الجدل قائمًا حول ما إذا كانت الديمقراطيات أكثر سلمية من غيرها من الدول، إلا أن أدلة دامغة تُشير إلى أن الديمقراطيات نادرًا ما تتقاتل فيما بينها [2] . وسوف تتقارب وتتحد سوياً في ما يشبه الاتحاد العالمي، لحماية حقوقها ونشر السلام داخل حدود هذه الفيدرالية العالمية، بما يقود لتحقيق نبوءة كانط، عما أسماه "السلام الدائم [3].

و في سياق متصل تحاجج الليبرالية أن الديمقراطيات من شأنها أن تحد من التعصب القومي و التركيز على المصالح الذاتية الضيقة في المقابل تحاجج الليبرالية الكلاسيكية أن "الانسجام الطبيعي للمصالح ."بإماكنه أن يحل محل المصلحة القومية عند الواقعيين فعندما تقوم الشعوب والدول بحسابات رشيدة لمصالحهم ويتصرفون من هذا المنطلق، فعندئذ تتطابق المصلحة القومية مع المصلحة الدولية وتكون شيئا واحدا [4]

الترابط الاقتصادي (الكوزموبوليانية) :

تُعدّ العلاقة بين الاقتصاد والحرب قضيةً جوهريةً في العلاقات الدولية. وكان علماء الليبرالية الكلاسيكية من أوائل من أكّدوا على هذه الصلة الجوهرية، اذ تخلق العلاقات التجارية الإيجابية والمصالح الاقتصادية الذاتية علاقات اعتماد متبادل، وتحد من الصراعات بين الدول [5].

[1] - Edwin van de Haar, Classical Liberalism and International Relations Theory , p 64 .

[2]- John R. Oneal and Bruce Russett, "The Classical Liberals Were Right: Democracy, Interdependence, and International Conflict, 1950–1985," International Studies Quarterly 41, no. 2 (June 1997): 267–294, esp. 268.

[3] - Meredith Reid Sarkees and Frank Whelon Wayman, Resort to War: A Data Guide to Inter-State, Extra-State, Intra-State, and Non-State Wars, 1816–2007 (Washington, DC: CQ Press, 2010), 547.

[4] - أنور محمد فرج ، مرجع سابق ، ص 276 .

[5] - Gasparini, "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation

يُقلل الترابط بين الدول من احتمالية نشوب صراعات بين الدول ويقترح الليبراليون الكلاسيكيون التركيز على التجارة الدولية بدلًا من إهدار الموارد في حروب دموية، مما يُفاقم وضع اقتصادات الأطراف المتنازعة. بل على العكس، فالتجارة مفيدة للطرفين. وبينما ترى الواقعية العلاقات الدولية كصراع على السلطة بين الدول وأهدافها الذاتية، تُجادل الليبرالية بأن الدول تُثني عن اللجوء إلى القوة والعنف نظرًا لترابطها الاقتصادي القوي، والذي قد يُهدد في حال اندلاع الحرب. يُثبط الترابط الحروب والصراعات لارتباطه بالتجارة الحرة وإلغاء الحواجز والتعريفات الجمركية ، التي تُقيد حرية تداول السلع والأشخاص والسلع الاقتصادية[1]. لذلك كثيرا ما شدد لودفينغ ميزس على مسؤولية الدولة عن الحرب من خلال تدخلها في الاقتصاد (الدولي) ، فالقومية الاقتصادية لا يمكن أن تتوافق مع السلام و الحمائية هي فلسفة حرب ، لذلك يرى لودفينغ أن التقسيم الدولي للعمل – اذا ترك حرا – هو الوسيلة الرئيسية لتحقيق السلام ، و ان الفلسفة الليبرالية تحقق انسجام المصالح الاقتصادية بين الدول ، ما يلغي الأساس العقلاني للحرب ، لذلك وصفها بأنها نظرية للسلام .[2]

يسعى الليبراليون الكلاسيكيون إلى التأكيد على أن الحرب لا طائل منها من الناحية الاقتصادية، ويلعب نورمان أنجيل دورًا حاسمًا في ترسيخ عدم جدوى الحرب ، و يطرح في كتابه " الوهم الكبير the great illusion " العديد من الحجج التي تُثني عن الحرب والعنف في العلاقات الدولية ، فهو يرى أن القوة السياسية والعسكرية عقيمة اقتصاديًا أي لا تستطيع فعل شيء لتجارة ورفاهية الأفراد الذين يمارسون هذه القوة[3]. يُجادل أنجيل بأنه حتى لو غزت الدول دولًا أخرى، فلن تجني أي فائدة من ذلك[4]. ومن وجهة نظره، فإن المكاسب التي تجنيها الدولة المحتلة تعقبها خسائر هائلة ، فالأراضي المُحتلة ماهي إلا "وهم بصري"، لا يُفيد حتى

[1] - Ibid .
[2] - Edwin van de Haar, Classical Liberalism and International Relations Theory , p 81 -82 .
[3] - Norman Angell, The Great Illusion: A Study of the Relation of Military Power in Nations to their Economic and Social Advantage (New York and London: G. P. Putnam's Sons, 1910), p 37 .
[4] -Ibid, p 44 .

الدول المهيمنة[1]. ووفقًا لأنجل ، الأساطيل الكبيرة عاجزة عن خلق التجارة للدول التي تمتلكها، ولا تستطيع فعل شيء لـ "احتواء التنافس التجاري" للأمم الأخرى. كما لا يستطيع المحتل تدمير المنافسة لدولة عن طريق ضمها لأن تدمير تجارة الدولة المهزومة سينعكس سلبًا على الدولة المُحتلة[2]. لذلك عند زوال الجدوى الاقتصادية تُثني الدول عن غزو جيرانها بسبب التكاليف الباهظة للتداعيات التالية.

لذلك لطالما دعت الليبرالية إلى توسيع التجارة كعلاج للحرب قبل أن تُصبح الديمقراطية إمكانية واقعية في معظم البلدان. في أوائل القرن السابع عشر، خلص إمريك كروسيه إلى أن الحروب تنشأ من سوء الفهم الدولي وهيمنة طبقة المحاربين على المجتمع. ويمكن الحد من كلا الأمرين من خلال توسيع التجارة: فالتجارة تخلق مصالح مشتركة وتزيد من ازدهار وقوة أعضاء المجتمع المسالمين والمنتجين.[3]

المؤسسات والقانون الدولي :

تنظر الليبرالية الى الحروب وعدم المساواة كمشكلات دولية تتطلب جهودا جماعية ومتعددة الأطراف من أجل إزالتها وليس فقط الإكتفاء بالجهود الفردية[4]. ففي غياب مؤسسات دولية قوية تتمتع بسلطة ونفوذ وقانون دولي يحظى بالاحترام والتطبيق، يصبح من الصعب إدارة العلاقات بين الدول وتسوية النزاعات سلميًا. هذا الفراغ المؤسسي والقانوني يزيد من احتمالية لجوء الدول إلى القوة لحماية مصالحها .

لذلك وجب على المجتمع الدولي أن ينظم نفسه مؤسسيا من أجل إزالة الفوضى التي تجعل من مشاكل دولية مثل الحرب ممكنا ، حتى إذا استمرت حدوث النزاعات، يجب تسويتها وفق

[1] - Ibid, p 47 .
[2] - Ibid, p 33 .
[3] - John R. Oneal and Bruce Russett, “The Classical Liberals Were Right: Democracy, Interdependence, and International Conflict, 1950–1985,” International Studies Quarterly 41, no. 2 (June 1997): 267–294, esp. 268.

[4] - محمد أنور فرج ، مرجع سابق ، ص 276 .

إجراءات قضائية ثابتة ، حيث إن حكم القانون ينطبق على الدول مثلما ينطبق على الأفراد[1].
يعتقد الليبراليون الكلاسيكيون أن النظام الدولي يتحقق من خلال العديد من الإجراءات و المصادر فلا توجد وصفة سحرية واحدة (...) لذلك نحتاج الى قواعد دولية مكتوبة محددة وقوية ، قد تكون هناك حاجة الى القانون الدولي و عدد محدود من المنظمات الحكومية الدولية الوظيفية لحماية حقوق الانسان [2] . يجادل دويل في كتابه " طرق الحرب و السلام " بأن الليبراليين ركزوا على إمكانية تحقيق السلام العالمي من خلال إسناد دور أكبر للمنظمات الدولية و القانون الدولي للحد من تأثير الحرب [3].

تنتقد الليبرالية الكلاسيكية الطروحات الواقعية بشأن حتمية الفوضى التي تفرض على الدول التصرف وفق مبدأ المساعدة الذاتية و تقدم رؤية بديلة قوامها إمكانية التخفيف من الفوضى بتعزيز الثقة في المؤسسات الدولية و القانون الدولي ، و تجادل على أن من شأن الامن الجماعي أن يحل محل المساعدة الذاتية [4] ، و تتعامل مع الحرب بوصفها ظاهرة طارئة وغير ضرورية، ناتجة في الغالب غياب مؤسسات دولية قوية وقانون دولي فعال يقوم بتنظيم العلاقات بين الدول وتسوية النزاعات سلميًا .

بالاستناد على ما سبق، يمكن تلخيص التصورات الأنطولوجية لليبرالية الكلاسيكية لأسباب الحرب باعتبارها ظاهرة عرضية و لا تُفهم كنتيجة حتمية أو سلوك عقلاني ،بل تنشأ نتيجة غياب العقلانية السياسية و غالبًا ما تُعد فشلًا في بناء البيئة المؤسساتية المناسبة، أو خللًا في تمثيل المصالح الشعبية الحقيقية. فحين تُحتكر السلطة، أو تُقمع الحريات، يصبح اللجوء إلى العنف أكثر احتمالًا، لا بسبب طبيعة الإنسان ولا بسبب بنية النظام الدولي.فبعكس الواقعيين، يرى الليبراليون أن الإنسان كائن عقلاني بطبعه، يسعى إلى تحقيق السلام والازدهار من خلال التفاعل والتعاون، متى ما توفرت له البيئة السياسية والمؤسسية المناسبة.

[1] - نفس المرجع السابق

[2] - Edwin van de Haar, Human Nature and World Affairs , p 159 .

[3] - Edwin van de Haar, Classical Liberalism and International Relations Theory , p 141 .

[4] - محمد أنور فرج ، مرجع سابق ، ص 276 .

هذه الحجج تبلورت بشكل منهجي في أطروحة إيمانويل كانط حول السلام الدائم حيث أشار إلى إمكانية بناء السلام على أساس ثلاثي من التأثيرات المتكاملة: الدساتير الجمهورية (أي الديمقراطية التمثيلية)، والقانون الدولي والتنظيم الدولي، و"القانون الكوزموبوليتاني" (الترابط الاقتصادي)[1]. حيث اعتبر أن قيام جمهوريات دستورية، ووجود قانون دولي، وتشكيل اتحاد شعوب، هي شروط ضرورية لإقامة سلام دائم. ومن ثم تبنت الليبرالية الكلاسيكية فرضية تقول إن نشر الديمقراطية والمؤسسات الدولية هو الطريق الأمثل لتقليص دوافع الحرب.

رابعا: حدود التصور الأنطولوجي لليبرالية الكلاسيكية

تقدم الليبرالية تفسيرات نظرية لا غنى عنها بشأن التغيير التاريخي في النظام الدولي و القدرة البشرية على التطور في مقابل الطبيعة الثابتة في الواقعية غيرأن الليبرالية الكلاسيكية تتهم بالطوباوية و يؤخذ عليها الطابع المثالي و التفاؤل المفرط بالطبيعة البشرية اذ يرى الواقعيون أن الليبرالية الكلاسيكية تبالغ في تقدير عقلانية الإنسان وتتجاهل الجوانب الأخرى لطبيعته مثل الرغبة في السلطة والأمن والميل إلى الصراع في ظل ظروف معينة.

تنتقد الليبرالية الكلاسيكية لتقليلها من أهمية توزيع القوة في النظام الدولي وتأثيره على سلوك الدول ، فهي تُرجع أسباب الحرب إلى غياب المؤسسات أو فشلها، دون تقديم تفسير كافٍ لأسباب نشوء الحروب حتى بين ديمقراطيات حديثة ،و في هذا الصدد ، جادل مانسفيلد وسنايدر بأن السلام الديمقراطي يقتصر على العلاقات بين الديمقراطيات الناضجة، وأن عملية التحول الديمقراطي، ومن المفارقات، تجعل الديمقراطيات الناشئة عرضة للصراع. واستنادًا إلى التحليلات الإحصائية للفترة 1811–1980، خلصا إلى أن الدول تصبح أكثر عدوانية، لا أقل، في السنوات التي تلي الانتقال إلى الديمقراطية؛ وأن الأنظمة السياسية التي أحدثت أكبر تغيير، من الاستبداد التام إلى الديمقراطية، شكلت أكبر خطر.[2]

[1] - Oneal and Russett, “The Classical Liberals Were Right,” 269.

[2] - Ibid, p270 .

ويأتي أحد التحديات التي تواجه الرأي الليبرالي من أولئك الذين يؤكدون أن العلاقات الاقتصادية لا توفر فقط إمكانية تحقيق مكاسب متبادلة، بل قد تنقل أيضًا العلل الاقتصادية وتخلق تنافسًا على تقاسم المنافع. وخاصةً عندما تكون العلاقات غير متكافئة، يمكن أن تكون التجارة مصدرًا للتأثير ، مما قد يؤدي إلى التبعية والاستغلال والصراع.[1]

أيضًا، تُنتقد الليبرالية الكلاسيكية من زاوية أنطولوجية، ففي حين ترى أن الفرد هو الوحدة الأنطولوجية الأساسية؛ كل شيء ينطلق من حريته و مصالحه وعقله ، شددت الليبرالية الجديدة على أن حقوق الأفراد لا يمكن أن تُفهم أو تُمارَس بمعزل عن الاعتبارات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية والرفاه الجماعي. لذلك أخذت شكل إعادة بناء الليبرالية الكلاسيكية، وذلك بإصرارها على أن حقوق الفرد لا بد وأن تتكيف مع سيادة الرفاهية الاجتماعية. من هنا فإن المساواة في الفرص هي حجة الليبراليين الجدد في الدفاع عن الرفاهية. فإذا كانت هناك جماعات محرومة بسبب ظروفها الاجتماعية، فعلى الحكومة مسئولية القضاء على هذا الحرمان. ولا تقلص زيادة مسئوليات الحكومة من حقوق الفرد بل توسعها [2]. لا يعني هذا أن الليبرالية الجديدة ستتخلى عن الفرد كمحور، لكنها ستعيد التوازن بين الفرد والدولة .

المطلب الثاني: المؤسسات مرتكز أنطولوجيا السلم في الليبرالية الجديدة

أولا: تشكل منطق الليبرالية الجديدة في ظل التحوّلات السياسية والمعرفية المعاصرة

برزت الليبرالية الجديدة كتيار فكري رئيسي في دراسات العلاقات الدولية خلال سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. جاء ظهورها في سياق معقد تميز بتحديات جمة واجهت الليبرالية الكلاسيكية، والتي ظهر عجزها جليًا مع اندلاع الحرب العالمية الأولى رغم وجود مستويات من الاعتماد الاقتصادي بين الدول الأوروبية[3]. تزامنت هذه الفترة مع استمرار حقبة الحرب الباردة، إلى جانب الركود الاقتصادي وصعود قضايا عالمية جديدة عابرة للحدود.

[1] - Ibid .

[2] - محمد أنور فرج ، مرجع سابق ، ص 273 .

[3] - جوزيف ناي، المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ، ت: أحمد أمين الجمل ومجدي كامل (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط 1، 1997)، ص 63.

تعتبر هذه النظرية بمثابة رد فعل على قصور الواقعية الجديدة في تقديم تفسيرات شاملة للتعاون الدولي، وسعيًا لتجاوز الطابع المثالي والمجرد لليبرالية الكلاسيكية. وقد تزامنت هذه التطورات مع بروز مفهوم "الدولة التجارية" كما طرحه ريتشارد روزيكرانس، حيث أصبحت الاستراتيجيات التجارية السلمية منذ منتصف القرن العشرين وسيلة فعالة للدول لتعزيز مكانتها وتحقيق النمو، بديلاً عن الأساليب العسكرية التقليدية[1]. وشهدت هذه الفترة تحولات معرفية مهمة، تميّزت بتطور أدوات التحليل الكمي و تطور نظرية الخيار العقلاني ، والاقتصاد السياسي الدولي. مهدت هذه التطورات الطريق لليبرالية الجديدة لتقديم تفسيرات أكثر تعقيدًا وديناميكية للعلاقات الدولية.

تبلور هذا الاهتمام المتجدد بالليبرالية في عدة اتجاهات فكرية، أبرزها التركيز على دور المؤسسات الدولية، وأهمية الأنظمة الديمقراطية في تحقيق السلام، والتأثير السلمي للاعتماد الاقتصادي والتجاري. سعى منظرون بارزون مثل روبرت كيوهان وجوزيف ناي إلى تطوير فهم أعمق لكيفية تأثير المؤسسات الدولية، والاعتماد المتبادل المعقد، وتوافر المعلومات في تشجيع الدول على التعاون وتجنب الصراعات، حتى في ظل نظام دولي يتسم بالفوضى. فبدلاً من اختزال النظام الدولي في ثنائية الحرب والسلام أو صراع القوى، ركزت الليبرالية الجديدة على شبكة التفاعلات الاقتصادية والمؤسسية المعقدة

ثانيا : البناء الأنطولوجي للمفاهيم الأساسية في الليبرالية الجديدة

تتفق الليبرالية الجديدة مع الليبرالية الكلاسيكية في كون التركيز ينصبّ على العناصر الثابتة في النظرية التي تفترض جوهر السلوك العقلاني للأفراد المهتمين بمصالحهم الذاتية[2]. لكنها تضيف بُعدًا مؤسسيًا هامًا ، حيث ترى الليبرالية الجديدة أن الدول هي فواعل عقلانية تسعى لتعظيم مكاسبها، وأن المؤسسات الدولية و قنوات الاتصال توفر إطارًا للتعاون وتقدم توقعات مستقرة بالسلام الدائم يقلل من حالة "معضلة السجين" ويزيد من احتمالية تحقيق نتائج مربحة

[1] - نفس المرجع السابق ، ص 63 .

[2] - Andrew Moravcsik, Liberalism and International Relations Theory, Paper No. 92-6 (Cambridge, MA: Center for European Studies, Harvard University, 1992),p 5.

للجميع. كما تؤكد الليبرالية الجديدة أن المصالح ليست ثابتة بالضرورة، بل تتشكل عبر التفاعلات الداخلية والخارجية وتفضيلات المجتمعات داخل الدول، ولا تقتصر على حسابات القوة و وضع الدولة في المنظومة الدولية [1]

الليبرالية الجديدة، على عكس الليبرالية الكلاسيكية التي تركز على الأفراد كعناصر أساسية في النظام الدولي، تضع الدولة في صلب التحليل السياسي. لا يعني هذا تخلي الليبرالية الجديدة عن نواتها المركزية المتحورة حول الفرد و الحرية ولكن تشدد الليبرالية الجديدة على أن حقوق الأفراد لا يمكن أن تُفهم أو تُمارَس بمعزل عن الاعتبارات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية والرفاه الجماعي (كما تناولنا في نقد الليبرالية الكلاسيكية) . ان هذا الفهم لدور الدولة انعكس على تصور الليبرالية الجديدة للعلاقات الدولية فهي تتفق مع الواقعية في الاقرار بفضوية النظام الدولي و لكنها تختلف معها في تصور حدة الفوضى و حتميتها ، و يذهب الفكر الليبرالي الجديد إلى أن النظام الدولي يُمكن تنظيمه و تخفيف حدة الفوضى فيه ، و في هذا الشأن تؤكد الليبرالية البنيوية على الدور الحاسم للمؤسسات الدولية في إزالة حالة عدم اللايقين و توفير أطر للتعاون و توقعات بالسلام و الاستقرار.

من خلال هذه النظرة الأنطولوجية، تعتبر الدولة فاعلًا عقلانيًا يسعى لتحقيق مصالحه، ضمن سياق مؤسسي يوفر إطارًا للحد من المخاطر واحتواء الصراعات. هذا يختلف عن النظرة الواقعية التي تتصور الدول دائمًا في حالة تنافس وصراع، وبدلاً من ذلك، تقترح الليبرالية الجديدة أن الدول يمكن أن تتعاون لتسوية القضايا المشتركة، كالأمن والاقتصاد، بفضل الأنظمة المؤسسية التي تدير التفاعلات بين الفاعلين.

كما يُعطى الاعتماد المتبادل دورًا محوريًا، حيث ترى الليبرالية الجديدة أن الترابط الاقتصادي بين الدول عبر التجارة والتمويل يُسهم في خلق روابط قوية يُشجع الدول على تبني استراتيجيات التعاون المستدام.

[1] - جوزيف ناي ، مرجع سابق ، ص 69 .

وقد طور روبرت كيوهان وجوزيف ناي هذا المفهوم بشكل موسع تحت مسمى "الاعتماد المتبادل المعقد"، الذي يميز العلاقات بين الدول الصناعية المتقدمة، ويقوم على ثلاث ركائز:

أولاً، تعدد قنوات الاتصال التي تتجاوز العلاقات الرسمية بين الدول لتشمل العلاقات الحكومية عبر الوطنية والعلاقات عبر الوطنية بين الفاعلين غير الحكوميين.

ثانياً، غياب تسلسل هرمي واضح للقضايا، حيث تتنوع أجندة العلاقات لتشمل قضايا اقتصادية واجتماعية وبيئية إلى جانب القضايا الأمنية، مع تزايد أهمية القضايا الداخلية في السياسة الخارجية.

وثالثاً، الدور الثانوي للقوة العسكرية في حل النزاعات بين هذه الدول المترابطة، خاصة في القضايا الاقتصادية، نظراً لتكلفتها وعدم فعاليتها المتوقعة.[1]

في ظل الاعتماد المتبادل المعقد، تتغير طبيعة العملية السياسية، وتختلف أهداف الدول باختلاف مجال القضية. وتكتسب المنظمات الدولية أهمية كبرى في تحديد جداول الأعمال، وتسهيل بناء التحالفات، وتوفير منابر للعمل السياسي، خاصة للدول الأضعف.

وتعتبر المؤسسية الليبرالية الجديدة، كما بلورها روبرت كيوهان في كتابه "ما بعد الهيمنة"، تطورًا هامًا في هذا الاتجاه. فمع التسليم ببعض الافتراضات الواقعية كعقلانية الدول والفوضى الدولية، تؤكد هذه المدرسة على إمكانية التعاون المستدام حتى في غياب قوة مهيمنة، وذلك من خلال دور الأنظمة والمؤسسات الدولية وشبكة الاعتماد المتبادل المعقد . فالمؤسسات تسهل التعاون عبر عدة طرق، منها تخفيض تكاليف المعاملات، وتوفير معلومات موثوقة تقلل من عدم اليقين وتزيد الشفافية، وتحديد نقاط مرجعية لتنسيق السياسات، وإنشاء آليات فعالة للرقابة على الامتثال وردع الغش. كما أنها تساهم في بناء الثقة وتشكيل التوقعات ، حيث يصبح للدول مصلحة في الحفاظ على سمعتها والالتزام بالتعاون لتحقيق مكاسب مشتركة على المدى الطويل، حتى في ظل وجود مصالح متعارضة.[2]

[1] - نفس المرجع السابق ، ص ص 233 -236 .
[2] - نفس المرجع السابق ، ص ص 237 – 239 .

ثالثا : الحرب في الليبرالية الجديدة: تحليل للأبعاد الأنطولوجية في النظرية

في حين توجد نسخ عديدة من النظرية الليبرالية فيما يتعلق بأسباب الحرب والسلام ، فقد احتلت المؤسسية النيوليبرالية المكانة الأبرز ضمن هذا النموذج [1]. يُقدم النموذج النيوليبرالي وجهات نظر حول مصادر الحرب و وصفات السلام تعكس بناءه الانطولوجي لتصوراتها للواقع الدولي ، ففي حين تُركز الواقعية البنيوية على توزيع القدرات على مستوى النظام، والتحالفات، وموازين القوى الثنائية كعوامل مرتبطة باندلاع الحرب. تُشدد النيوليبرالية على أهمية المؤسسات الدولية والديمقراطية والترابط الاقتصادي في الحفاظ على الأمن العالمي.[2]

دور المؤسسات الدولية :

ترى المؤسسية النيوليبرالية أنه يمكن الحد من آثار الفوضى واستخدام القوة في السياسة الدولية من خلال تطوير المعايير والقواعد الدولية، وانتشار المنظمات الحكومية الدولية، والتنسيق الإداري للسياسات بين القوى الكبرى (من خلال المؤسسات والمؤتمرات الدولية).[3] و تأسيسا على ذلك ترى الليبرالية الجديدة أن الحرب قد تنشب عندما تكون المؤسسات الدولية ضعيفة أو غير قادرة على توفير آليات فعالة لحل النزاعات وتطبيق القواعد والمعايير. عندما تفشل المؤسسات في ردع العدوان أو تسهيل المفاوضات أو فرض العقوبات، يصبح اللجوء إلى القوة خيارًا أكثر احتمالًا. و على العكس من ذلك و في ظل مؤسسات دولية فعالة يتوقع الليبراليون الكلاسيكيون أن يسود السلام جميع أرجاء العالم. ويصف "جوزيف غريكو" عمل المؤسسات بأنها "مجتمعات الأمن التعددي" حيث يصبح احتمال الحرب بين الدول احتمالاً غير وارد.[4]

[1] -- Daniel S. Geller and Konstantinos Travlos, "Integrating Realist and Neoliberal Theories of War," Peace Economics, Peace Science and Public Policy 25, no. 2 (2019) , p 3.
[2] - Ibid, p 18 .
[3] - Ibid , p 6 .
[4] - جوزيف ناي ، مرجع سابق، ص 65

من المفيد أن نشير الى أن جوزيف ناي يرى أن المؤسسات وحدها لا تكفي، بل يجب أن تتشكل التوقعات لدى الرأي العام بأن المؤسسات قادرة على تحقيق الأهداف المرجوة منها ، فعاليتها مرهونة أيضًا بتوقعات ودعم الرأي العام.[1]

يجادل أنصار المدرسة المؤسسية–الوظيفية، أن الاختلاف في صور توزيع أداء المؤسسات هو الذي يتسبب في اندلاع الحروب والصراعات بين الدول القومية وغيرها من الفاعلين الدوليين غير الرسميين . فأداء المؤسسات هو الذي سيحدد مخرجات وطرق حل وإدارة هذه الصراعات بما في ذلك التورط في الاعمال القتالية والحرب؛ فالأداء القوي في هذه الأحوال قد يعوض افتقارها للقدرات والإمكانيات[2]

الليبرالية الجمهورية (الديموقرايطيات) :

تُضيف الليبرالية الجديدة، بالاستناد إلى نظرية السلام الديمقراطي عند مايكل دويل ، بعدًا آخر يتعلق بطبيعة الأنظمة السياسية الداخلية. فغياب المؤسسات والقيم الديمقراطية يجعل الدول غير الديمقراطية أكثر عرضة للانخراط في حروب... ويرجع ذلك إلى وجود قيود مؤسسية داخلية على القادة في الدول الديمقراطية، مثل الرأي العام والمساءلة البرلمانية، والتي تقلل من الميول الفردية نحو الصراع[3]

تُشكل حجج الليبراليين الجمهوريين حول التمثيل الناقص تصوراتهم الرئيسية حول الحرب . من وجهة النظر الليبرالية، تشترط الحكومات "غرضًا" لإثارة الحرب. الشرط الحاسم لاندلاع الحرب هو وجود "مُعتدٍ" ذو أهداف "تعديلية" بدلًا من "الحفاظ على الوضع الراهن". في حالة الحرب، يُعدّ افتراض أن الصراع من غير المرجح أن يُحقق فائدةً صافيةً للمجتمع بأكمله أمرًا معقولًا للغاية. قد تنجم الحرب عن سياسة "غير متوازنة"، ولكن عندما تُمثَّل مجموعة واسعة من المصالح الاجتماعية، يُصبح ذلك شبه مستحيل. هذا لا يعني عدم وجود تضارب في المصالح

[1] - نفس المرجع السابق ، ص 65 .
[2] - محمد أحمد أبوزيد ، مرجع سابق ، ص 24 – 25 .
[3] - جوزيف ناي ، مرجع سابق ، ص 67-68 .

بين الجمهوريات، بل يعني فقط أن الجمهوريات أقل عرضة بكثير للجوء إلى استراتيجية الحرب المُكلفة نسبيًا. [1]

تدعم مجموعة متزايدة من الأدلة العلمية الاجتماعية وجهة النظر الليبرالية. فعلى الرغم من أن الديمقراطيات الليبرالية تخوض حروبًا أقل بكثير من نظيراتها الاستبدادية، إلا أنها لا تقاتل بعضها البعض أبدًا (أو نادرًا ما تقاتل بعضها البعض)، ولا تتحالف ضد بعضها البعض. تنخرط الدول الديمقراطية في صراعات منخفضة المستوى، لا سيما ضد الدول الضعيفة ذات الأنظمة الداخلية غير المستقرة، لكنها تميل إلى تجنب البديل الأكثر تكلفة المتمثل في الحرب المفتوحة، لا سيما ضد خصوم ذوي قوة مماثلة. [2]

الاعتماد المتبادل المعقد:

تعتبر الليبرالية الجديدة أن ضعف الروابط الاقتصادية والاجتماعية المعقدة بين الدول يقلل من تكلفة الحرب ويزيد من جاذبيتها كخيار[3]. فعندما تكون الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين الدول قليلة أو سطحية، تقل التكلفة الاقتصادية والاجتماعية للحرب، مما يزيد من احتمالية نشوبها. على العكس من ذلك، العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية المتشابكة و المعقدة تخلق مصالح مشتركة قوية تجعل الحرب خيارًا مكلفًا وغير مرغوب فيه .

هذا التشابك لا يقتصر على الجوانب الاقتصادية، بل يمتد ليشمل تفاعلات اجتماعية وثقافية عبر الحدود، من خلال حركة الأفراد والأفكار، مما قد يسهم في تغيير البنى الاجتماعية الداخلية للدول ويجعل شعوبها أكثر ميلًا للسلم وعزوفًا عن الحرب[4]

ترى الليبرالية الجديدة أن نقص المعلومات الموثوقة أو وجود معلومات مضللة حول نوايا وقدرات الدول الأخرى يمكن أن يؤدي إلى سوء فهم وتقييمات خاطئة للمواقف، مما يزيد من

[1] - Andrew Moravcsik, Liberalism and International Relations Theory , p 18 .
[2] - Ibid , p 19 .
[3] - Garry Rodan and Kevin Hewison, Neoliberalism and Conflict in Asia After 9/11 (London:Routledge, 2006), p 15 .
[4] - جوزيف ناي ،مرجع سابق ، ص 65 .

خطر التصعيد والصراع. بينما يوفر الاعتماد المتبادل المعقد شبكة موسعة من تدفقات المعلومات ، الامر الذي من شأنه أن يقلل من وطأة المعضلة الأمنية ، و يشكل عاملا حاسما في زيادة الشفافية وتقليل حالة عدم اليقين [1]

رابعا : حدود التصور الأنطولوجي لليبرالية الجديدة

على الرغم من القوة التحليلية التي تقدمها الليبرالية الجديدة في فهم النظام الدولي، فإنها لم تسلم من النقد من عدة زوايا.

أولاً، النقد الواقعي الأكثر شيوعًا يتعلق بالاعتماد على المؤسسات الدولية كآلية رئيسية لمنع الحروب. يرى الواقعيون أن الليبرالية الجديدة تبالغ في تقدير قدرة المؤسسات الدولية على تجاوز منطق القوة والمصالح الوطنية ، فبالرغم من دورها التنظيمي، لا يمكنها التغلب على صراع المصالح بين الدول الكبرى. في كثير من الحالات، تظهر هذه المؤسسات كأدوات تستخدمها القوى الكبرى لتحقيق مصالحها الخاصة، بدلًا من أن تكون عناصر محايدة تساهم في فرض السلام. و حسب جون ميرشايمرلا تُوفر المؤسسية الليبرالية أساسًا سليمًا لفهم العلاقات الدولية وتعزيز الاستقرار في عالم ما بعد الحرب الباردة. فهي تُقدم ادعاءات متواضعة حول تأثير المؤسسات، وتتجنب قضايا الحرب والسلام، مُركزةً بدلًا من ذلك على المهمة الأقل طموحًا المتمثلة في تفسير التعاون الاقتصادي.[2]

ثانيًا، السلام الديمقراطي نفسه تعرض للنقد، حيث يرى بعض النقاد أنه لا يقدم تفسيرًا كافيًا لبعض حالات الصراع بين الديمقراطيات، خاصة عندما يتعلق الأمر بصراعات ديمقراطية ضد دكتاتورية أو حتى حروب تجارية بين دول ديمقراطية. أيضًا، رغم أن الديمقراطيات قد تكون أقل عرضة لخوض حروب ضد بعضها البعض، فإن حروب التدخل العسكري من الدول

[1] - Robert O. Keohane and Joseph S. Nye, Power and Interdependence, 4th ed. (Boston: Longman, 2012), p 21.

[2] - Mearsheimer, John J. "The False Promise of International Institutions." International Security 19, no. 3 (Winter 1994–1995): p 26 .

الديمقراطية أظهرت أن الديمقراطيات قد تُشارك في حروب خارج حدودها لأسباب أخرى غير الدفاع عن السلام، مثل الهيمنة الاقتصادية أو السياسية.

كما يرى بعض النقاد أن هذا السلام قد يكون ناتجًا عن عوامل أخرى مصاحبة للديمقراطية، مثل المصالح المشتركة أو التحالفات[1]

ثالثا، الاعتماد المتبادل الذي تتحدث عنه الليبرالية الجديدة قد يتغير بسرعة في مواجهة التغيرات الاقتصادية أو الأزمات، مما يضعف القدرة على بناء تعاون مستدام. كما يشير النقاد إلى وجود حالات تاريخية نشبت فيها حروب بين دول ذات مستويات عالية من الاعتماد الاقتصادي المتبادل، مما يشكك في الادعاء بأن الاعتماد المتبادل يمنع الحرب بشكل فعال دائمًا [2].

خلاصة الفصل :

من خلال ما تم تناوله هذا الفصل المرتكز على تحليل دلالات الحرب من منظور التيارات الوضعية في العلاقات الدولية، باعتبارها مدارس فكرية تنطلق من رؤية موضوعية وعقلانية للعالم، وتفترض إمكانية تفسير الظواهر الدولية عبر قواعد علمية ثابتة. انتهت بنا الدراسة الى فهم الظاهرة الحربية عبر دراسة مسألتين مركزيتين هما: أنطولوجيا الصراع وأنطولوجيا التعاون، بوصفهما مداخل لفهم أسباب الحرب و إمكانات السلام .

في أنطولوجيا الصراع، برز الاتجاه الواقعي الذي ينطلق من تصور حتمية الصراع و طبيعية ظاهرة الحرب المدفوعة بالغرائز البشرية الصدامية في سياق الفوضى التي تطبع النظام الدولي، وأن الدول تسعى بشكل دائم إلى تحقيق مصالحها في بيئة تفتقر إلى سلطة عليا تنظم تفاعلاتها. هذا التصور يجعل من الحرب ظاهرة متكررة ومرتبطة ببنية النظام ذاته. يتجلى ذلك

[1] - جوزيف ناي ، مرجع سابق ، ص 68 .

[2] - Mansfield, Edward D., and Jack Snyder. "Democratization and the Danger of War." International Security 20, no. 1 (Summer 1995): 5–38.

في النظريات الواقعية المختلفة، من الواقعية التقليدية التي تؤكد الطبيعة الأنانية للإنسان والدولة، إلى الواقعية البنيوية التي ترى في هيكل النظام الدولي المحرك الأساسي للسلوك العدواني.

أما في أنطولوجيا التعاون، فيُبرز التيار الليبرالي دور المؤسسات الدولية، والقيم المشتركة، والاعتماد المتبادل في تقليص احتمالات الحرب وتعزيز فرص التعاون. تنطلق الليبرالية من فرضية أن الفاعلين الدوليين لا يحكمهم منطق صراع البقاء، اذا ما توفرت آليات العمل وفق منطق عقلاني نحو السلام. تؤمن هذه المقاربة بأن الحرب ليست حتمية، و يمكن تجنبها من خلال تعزيز الديمقراطية، والاقتصاد الليبرالي، وبناء مؤسسات فعالة.

يعكس هذا الفصل تقابلاً حادًا بين التصورين فالأول يرى الحرب كنتيجة حتمية لبنية الفوضى، والثاني يعتبر إمكانية تجاوزها عبر إصلاحات مؤسسية ومعيارية. كما يشير إلى أن فهم منطق كل من الصراع والتعاون يتشكل خلال فهم البنية الأنطولوجية المتجذرة في تصورات كل نظرية عن طبيعة الواقع الدولي، وطبيعة الدولة، والعلاقات بين الفواعل.

الفصل الثالث

المضامين الانطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات مابعد الوضعية

-تفكيك الانطولوجيا التقليدية للحرب-

الفصل الثالث : المضامين الانطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات مابعد الوضعية

- تفكيك الانطولوجيا التقليدية للحرب -

يمثل هذا الفصل تحولًا مفاهيميًا عميقًا في تحليل الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحروب، وذلك بالانتقال من المنظورات الوضعية التي تنظر إلى العالم السياسي بوصفه واقعًا موضوعيًا قابلاً للرصد والقياس، إلى المنظورات ما بعد الوضعية التي تتناول الظواهر السياسية من منظور بنيوي–معرفي أكثر تعقيدًا. في هذا الإطار، تُفهم الحرب بوصفها ممارسة اجتماعية ومؤسسة سياسية راسخة في أنساق من المعاني والقيم وعلاقات القوة، وليست مجرد سلوك خارجي أو نتيجة لصدام المصالح بين الدول.

تُطرح في هذا السياق أسئلة أنطولوجية تتجاوز التعريفات الكلاسيكية للحرب، نحو مساءلة شروط إمكانها: كيف أُنتجت الحرب كفكرة وكممارسة؟ ما الذي يجعل العنف المنظم خيارًا مشروعًا في الوعي السياسي الحديث؟ إن هذا التحول في زاوية النظر من التركيز على "ماهيّة" الحرب إلى تحليل منطق "تَشكُّلها" يفتح أفقًا لفهم أعمق لجذورها، عبر تتبع البُنى الخطابية، والعلاقات التاريخية، والهياكل المعرفية التي تتيح بروزها واستمراريتها.

في ضوء هذا المنظور تُعتبر الحرب تعبيرًا عن بنية الوجود الاجتماعي والسياسي السائد. ومع ذلك، فإن هذا الوجود ليس مغلقًا أو نهائيًا، بل قابل للنقد وإعادة التشكيل من خلال ممارسات تحررية تستهدف تفكيك أسس الهيمنة وبناء بدائل أكثر إنسانية.

يتناول هذا الفصل بالتحليل كلًّا من النظرية النقدية بتياريها المعياري والنقد النيوغرامشي، بالإضافة إلى النظرية ما بعد الحداثية في فرعيها التفكيكي والفوكوي، من أجل الكشف عن المضامين الأنطولوجية العميقة التي تقدمها هذه المقاربات لتفسير أسباب الحروب.

المبحث الأول: الأنطولوجيا النقدية: الحرب كنتيجة لهيمنة الأنساق واستدامة اللاعدالة

تبرز النظرية النقدية كتحول جذري في فهم أسباب الحرب، متجاوزة النماذج الوضعية التي تكتفي بتفسيرات سببية مباشرة قائمة على سلوك الدول أو اختلال موازين القوى. فقد أعادت النظرية النقدية صياغة إشكالية الحرب عبر مساءلة البنى المعرفية، الأنساق الخطابية، والمؤسسات التي تُضفي الشرعية على الحرب وتجعلها خيارًا ممكنًا ضمن النظام الدولي. وبهذا، لم تعد الحرب مجرد استجابة لصراع مصالح، بل أصبحت نتاجًا لتركيبة هيكلية أعمق تتضمن مفاهيم الأمن، العدو، والهيمنة، وتُساهم في تطبيع العنف وإعادة إنتاجه.

وقد تبلورت النظرية النقدية في مسارين رئيسيين: الأول هو التيار النقدي المعياري، الذي ينبع من مدرسة فرانكفورت (هوركهايمر، أدورنو، وهابرماس)، وتطوّر في العلاقات الدولية بفضل إسهامات أندرو لينكلايتر. يركز هذا التيار على دمج البعد الأخلاقي والتحرري في تحليل العلاقات الدولية، وينتقد البنى التي تعيق التواصل العقلاني وتُعرقل تحقيق العدالة العالمية. أما المسار الثاني، فهو التيار النيوغرامشي، الذي يستند إلى أفكار أنطونيو غرامشي وتجلّى في أعمال روبرت كوكس. يشدد هذا التيار على العلاقة الجدلية بين البنية والممارسة، وعلى دور الهيمنة الثقافية والاقتصادية في تشكيل النظام العالمي. ويُبرز كيف تُسهم المؤسسات الدولية، ليس فقط في إدارة النظام، بل في إنتاج المعرفة وتبرير التراتبية وإدامة الصراع، ضمن ما يُعرف بـ"الكتلة التاريخية"

المطلب الأول : المطلب الأول: الأنطولوجيا التحررية للعقل التواصلي في النقدية المعيارية

أولًا: النشأة والسياق الفكري للتيار النقدي المعياري

تعود الأصول المباشرة للنظرية النقدية لمقال ماكس هوركهايمر التأسيسي عام 1937 بعنوان "النظرية التقليدية والنظرية النقدية"[1] ثم تعمّق هذا المشروع النقدي بشكل كبير في كتاب "جدل التنوير" (1944) لهوركهايمر وأدورنو، حيث جادلا بأن مسار التنوير الغربي لم يؤدِ إلى التحرر الموعود، بل إلى شكل جديد من الهيمنة. "العقل الأداتي" (Instrumental

[1] - آلن هاو ، النظرية النقدية ، ترجمة ثائر ديب ، ط1 (القاهرة : دار العين ، سنة 2010) ، ص 11 .

Reason)،[1] و بذلك يتجذر التيار النقدي المعياري في الفضاء الفلسفي والاجتماعي الذي أنتجته مدرسة فرانكفورت في النصف الأول من القرن العشرين، وهي مدرسة فكرية تأسست في ألمانيا في ثلاثينيات القرن الماضي، وارتبطت بـ"معهد البحوث الاجتماعية Institut für) " (Sozialforschungالتابع لجامعة فرانكفورت. لقد جاء ظهور هذا التيار بوصفه رد فعل على الفلسفة المثالية الألمانية في ثلاثينيات القرن العشرين و كذلك كرد فعل على صعود النزعة الوضعية التجريبية التي اعتبرت ان الظواهر الاجتماعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية ، وتعتبر النظرية النقدية كتوجه فكري تنقيح و تصحيح للفكر الماركسي جاءت من اجل نقد و تقويض الاطروحات و التصورات الأيديولوجية الليبرالية التي قام عليها المجتمع الغربي .[2]

لقد ركّز مفكرو هذه المدرسة، وفي مقدمتهم ماكس هوركهايمر، تيودور أدورنو، ثم لاحقًا هربرت ماركوزه، على نقد العلاقة بين المعرفة والسلطة، وعلى تفكيك الأنساق الفكرية التي تُخفي علاقات الهيمنة خلف واجهات علمية أو تقنية [3].في هذا السياق، مثلت النظرية النقدية مشروعًا تحرريًا يهدف إلى كشف البنى المعيقة للإرادة الحرة، واستعادة إمكان التغيير الاجتماعي عبر مساءلة الأسس المعرفية والسياسية للنظام القائم [4].

من هذا الإرث الفكري، انطلق يوغن هابرماس في إعادة صياغة النظرية النقدية على أسس جديدة تتجاوز التشاؤم المعرفي الذي طبع الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت. فقد طوّر هابرماس مفهوم "الفعل التواصلي"، بوصفه نمطًا من التفاعل الاجتماعي يتأسس على الاعتراف المتبادل والعقلانية التداولية، بدلًا من العقل الأداتي الذي يحوّل الإنسان إلى وسيلة [5].وقد مثّل

[1] - كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت، ط1 (الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010)، ص 11.

[2] - محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ، ص 309 .

[3] - Max Horkheimer and Theodor W. Adorno, Dialectic of Enlightenment, trans. Edmund Jephcott (Stanford: Stanford University Press, 2002).

[4] - Douglas Kellner, Critical Theory, Marxism and Modernity (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1989) .

[5] - Jürgen Habermas, The Theory of Communicative Action, Vol. 1: Reason and the Rationalization of Society, trans. Thomas McCarthy (Boston: Beacon Press, 1984).

هذا التحول نقلة أنطولوجية في فهم العلاقات الاجتماعية والسياسية، من حيث اعتبار إمكان التوافق واللاهيمنة ممكنًا في بنى التواصل، لا في بنى الهيمنة [1].

في ميدان العلاقات الدولية، شكّلت هذه التحولات مدخلًا لتطوير تيار نقدي معياري يزاوج بين التحليل النظري والنزعة الأخلاقية. وكان أندرو لينكلايتر أبرز من تولّى هذا المشروع، حيث عمل على إدخال مفاهيم هابرماسية مثل "الفعل التواصلي"، "الجماعة الأخلاقية الموسعة"، و"التحرر من القيود البنيوية"، إلى قلب تحليل النظام الدولي[2] . وقد دعا لينكلايتر إلى تجاوز المقاربات الوضعية التي تحتكر تفسير الأمن والسيادة والمصلحة، والعمل بدلًا من ذلك على بناء نظرية تقوم على النقد الذاتي، والتحرر، وتوسيع دوائر الانتماء الأخلاقي[3].

ينتمي هذا المسار إذًا إلى تقليد فكري يرى في النقد عملية مستمرة لكشف الشروط البنيوية والمعرفية التي تُنتج العنف وتعيد إنتاجه، مع إيمان بإمكان التغيير التدريجي عبر الوسائط الأخلاقية والتواصلية. ولا ينفصل هذا التيار عن سياق ما بعد الحرب الباردة، حيث أعادت التحولات العالمية الكبرى طرح الأسئلة حول العدالة، التهميش، والعنف المشرعن، مما فسح المجال أمام بروز النظرية النقدية كأحد المسارات الأساسية في التنظير للعلاقات الدولية.

ثانيًا: البناء الانطولوجي للمفاهيم الأساسية في النقدية المعيارية

ينطلق التيار النقدي المعياري من خلفية فلسفية وفكرية عميقة مستمدة من مدرسة فرانكفورت، ومن اجتهادات هابرماس في مجال الفعل التواصلي. وقد تأسس هذا التيار على رؤية متميزة تسعى إلى إعادة بناء تحليل العلاقات الدولية، ليس فقط عبر مراجعة الأدوات المعرفية

[1] - Craig Calhoun, “Introduction: Habermas and the Public Sphere,” in Habermas and the Public Sphere, ed. Craig Calhoun (Cambridge, MA: MIT Press, 1992).
[2] - Andrew Linklater, The Transformation of Political Community (Cambridge: Polity Press, 1998).
[3] - Andrew Linklater, “The Question of the Next Stage in International Relations Theory: A Critical-Theoretical Point of View,” Millennium: Journal of International Studies 21, no. 1 (1992).

والمفاهيمية المهيمنة، وإنما أيضًا من خلال مساءلة الشروط التاريخية والسلطوية التي أنتجتها وأضفت عليها طابع البداهة[1] .

يرتكز هذا التيار أولًا على نقد مزدوج للبنية وللمعرفة، وهو ما يعني أن النظرية النقدية تسعى إلى تفكيك الأسس الأيديولوجية والمعرفية التي تمنح هذه الأنظمة شرعيتها [2]. ويجد هذا التوجه جذوره في الطرح الراديكالي الذي صاغته مدرسة فرانكفورت في نقدها لما سمّته بـ "العقل الأداتي"، أي ذلك النمط من العقلانية الذي اختزل العقل إلى مجرد أداة للسيطرة التقنية والإجرائية، منفصلًا عن غايات التحرر أو العدالة[3].

وفي هذا السياق، شكّلت إشكالية التنوير نقطة تحول مركزية في التفكير النقدي، حيث اعتبرت مدرسة فرانكفورت أن مشروع التنوير، الذي وُلد بوصفه وعدًا بالتحرر الإنساني عبر العقل، قد انقلب إلى مشروع هيمنة، حين تم إخضاع العقل لمنطق السيطرة. وقد عبّر عن ذلك كل من هوركهايمر وأدورنو في مؤلفهما المشترك *جدل التنوير* من خلال مفهوم "خسوف العقل"، أي فقدان العقل لطاقته النقدية والأخلاقية لصالح عقلانية شكلية لا تعترف إلا بما يمكن ضبطه وقياسه[4].

انطلاقًا من هذا النقد الجذري، سعى التيار النقدي المعياري في العلاقات الدولية، ولا سيما عند أندرو لينكلايتر، إلى بلورة تصور بديل للعقلانية في السياسة الدولية، قائم على ما سماه العقلانية التواصلية، المستمدة من أعمال يورغن هابرماس [5]. حيث يُنظر إلى الفاعلين (سواء أفرادًا أو دولًا) بوصفهم ذوات قادرة على الدخول في حوار عقلاني يسعى إلى التفاهم، والاعتراف المتبادل، والتوصل إلى أسس شرعية للمجتمع الدولي.

[1] - Richard Devetak, “Critical Theory,” in Theories of International Relations, 3rd ed., ed. Scott Burchill et al. (New York: Palgrave Macmillan, 2005), 137–159.

[2] - Ibid.

[3] - Max Horkheimer, Eclipse of Reason (New York: Oxford University Press, 1947).

[4] - Max Horkheimer and Theodor W. Adorno, Dialectic of Enlightenment, trans.

[5] - Andrew Linklater, The Transformation of Political Community (Cambridge: Polity Press, 1998).

يُعتبر مفهوم التحرر (*emancipation*) المرتكز القيمي الجوهري في هذا التيار، إذ تُمارَس النظرية وظائف تتعدى مهام التفسير لتحقق وظيفة إصلاحية تسعى الى تحرير الأفراد والجماعات من شروط الهيمنة البنيوية [1].ويندرج هذا المسعى التحرري ضمن ما يُعرف بـ"توسيع الجماعة الأخلاقية"، أي تجاوز الحدود القومية الضيقة في التفكير السياسي، لصالح تصور كوني للعدالة والمسؤولية الأخلاقية[2].

أما على المستوى المنهجي، فيتبنّى التيار النقدي المعياري موقفًا ما بعد وضعي، يرفض الادّعاء بإمكان الحياد القيمي أو الموضوعية المطلقة، ويدعو إلى ممارسة نظرية ملتزمة تضع القيم الإنسانية في صميم التحليل السياسي .ويعتمد هذا التيار على أدوات منهجية متعددة التخصصات، تشمل الفلسفة النقدية، تحليل الخطاب، والنظرية الأخلاقية، مما يسمح له بتجاوز الأطر التفسيرية الجامدة للنظريات التقليدية[3].

إن هذه المرتكزات النظرية والمنهجية مجتمعة تمنح التيار النقدي المعياري قدرة خاصة على مساءلة البُنى التي تجعل من العنف ظاهرة متكررة ومألوفة في النظام الدولي، كما تؤهله لصياغة تصور بديل لعلاقات دولية قائمة على الاعتراف، والمشاركة، والتواصل، بدلًا من الردع والصراع والهيمنة[4].

ثالثًا: الحرب في النقدية المعيارية : تحليل للأبعاد الانطولوجية للتيار النقدي المعياري

تتأسس الرؤية الأنطولوجية لظاهرة الحرب ضمن التيار النقدي المعياري على تصور اجتماعي لطبيعة الواقع السياسي الدولي، حيث انه نتاج تاريخي لتفاعلات اجتماعية، وأطر معرفية، وممارسات هيمنة تعيد إنتاج النظام العالمي وفق علاقات غير متكافئة من السلطة والمعرفة

[1] - Ibid.
[2] - Andrew Linklater, "The Question of the Next Stage in International Relations Theory.
[3] - Richard Devetak, "Critical Theory," in Theories of International Relation.
[4] - Ibid.

والهوية [1].بهذا المعنى، فإن الحرب تصبح ظاهرة اجتماعية مشروطة بالبُنى الخطابية والرمزية التي تضفي الشرعية على العنف وتؤطره ضمن النظام الدولي[2].

أزمة الاعتراف: الحروب، خاصة الأهلية والعرقية، هي في جوهرها صراعات من أجل الاعتراف. عندما تُحرم جماعة ما من الاعتراف بهويتها الثقافية أو حقوقها السياسية أو كرامتها الإنسانية من قبل الدولة أو جماعة مهيمنة، فإن العنف قد يصبح الوسيلة الوحيدة المتاحة للمطالبة بهذا الاعتراف.

ترى النظرية النقدية المعيارية أن الحرب تظهر عندما تسود أنماط تفاعل دولي قائمة على نزع الاعتراف بدلًا من تحقيقه، والاستبعاد بدلًا من الإدماج. إذ يؤدي غياب الاعتراف المتبادل بين الفاعلين الدوليين إلى تكريس ديناميات الهيمنة واللامساواة، مما يُنتج فضاءً يُنظر فيه إلى العنف كوسيلة مشروعة للحفاظ على الامتيازات أو مقاومة التهميش [3].وقد ركّز أندرو لينكلايتر على مركزية "مشكلة الاعتراف" في فهم مسببات الحرب، مؤكدًا أن غياب هذا الاعتراف يؤدي إلى اضطرابات في البُنى الأخلاقية للعلاقات الدولية[4].

أما الفاعل السياسي، فيُفهم كذات اجتماعية تتشكل داخل علاقات تواصلية، وتتأثر بالبُنى المعيارية والرمزية التي تشرعن الإقصاء أو الاعتراف. من هذا المنطلق، يصبح تحليل الخطابات والمعايير المهيمنة ضرورة لفهم كيف يُصبح العنف ممكنًا ومقبولًا ضمن النظام الدولي[5].

[1] - Robert Cox, “Social Forces, States and World Order: Beyond International Relations Theory,” in Critical Theory and International Relations: A Reader, ed. Steven C. Roach (New York: Routledge, 2008), 269-279.
[2] - Linklater, Andrew. The Transformation of Political Community.
[3] - Wyn Jones, Richard. Security, Strategy, and Critical Theory. Boulder, CO: Lynne Rienner, 1999.
[4] - Linklater, Andrew. "The Problem of Harm in World Politics: Theoretical Investigations." Cambridge Studies in International Relations. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.
[5] - Habermas, Jürgen. Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy. Trans. William Rehg. Cambridge: MIT Press, 1996.

ويمثل مشروع "توسيع الجماعة الأخلاقية"، كما صاغه لينكلايتر، محاولة لتوسيع دائرة الانتماء والاعتراف، مما يحدّ من دوافع اللجوء إلى العنف المنظم ويعزز شروط السلام المستدام[1].

التواصل المشوه وهيمنة الفعل الاستراتيجي: الحرب هي نتيجة لانهيار التواصل العقلاني. عندما تستخدم الدول الخطاب للخداع والتلاعب وفرض المصالح (أي الفعل الاستراتيجي)، يصبح العنف هو الوسيلة النهائية لفرض الإرادة. الدعاية الحربية، وتصوير العدو كشيطان، والخطابات القومية المتطرفة، كلها أشكال من التواصل المشوه الذي يمهد الطريق للحرب.
المجتمعات السياسية الإقصائية: يجادل لينكلايتر بأن السبب الجذري للحرب يكمن في بنية الدولة الإقليمية نفسها، التي تخلق واجبات أخلاقية قوية تجاه "المواطنين" (نحن) وواجبات ضعيفة أو معدومة تجاه "الغرباء" (هم). هذا التقسيم الأنطولوجي للبشرية هو الذي يولد انعدام الأمن ويجعل من الحرب خيارًا ممكنًا للدفاع عن المجتمع المغلق[2]

وعليه، فإن التصور النقدي المعياري لأسباب الحرب، يسعى إلى مساءلة الشروط الاجتماعية والمعرفية التي تجعلها ممكنة. إنه تصور يتجاوز الفهم الاختزالي للصراع، ويضع الحرب ضمن شبكة واسعة من البُنى والمعايير والرموز التي تُنتج الواقع السياسي وتشكل إمكانيات تحوّله.

رابعًا: حدود التصور الأنطولوجي للتيار النقدي المعياري

رغم الإسهامات العميقة التي قدّمها التيار النقدي المعياري في إعادة تشكيل النظر إلى الظواهر السياسية، وفي مقدمتها الحرب، فإن مقاربته الأنطولوجية لا تخلو من حدود وإشكاليات نظرية ومنهجية تثير نقاشًا واسعًا في حقل العلاقات الدولية.

أولى هذه الإشكاليات تتعلق بطبيعة الفاعلية السياسية التي يفترضها هذا التيار. ففي حين يطرح أندرو لينكلايتر تصورًا مثاليًا عن الفاعل القادر على الانخراط في تواصل عقلاني داخل فضاء تشاركي، فإن هذا النموذج يفترض وجود شروط مثالية يصعب تحققها في السياقات الواقعية،

[1] - Linklater, Andrew. "Dialogic Politics and the Civilising Process." Review of International Studies 31 (2005): 141–154.
[2] - Linklater, Andrew."The english school", in Theories of International Relations, 3rd ed., ed. Scott Burchill et al. (New York: Palgrave Macmillan, 2005), 84-109 .

حيث تتسم العلاقات الدولية بعدم توازن قوى واختلالات في الاعتراف وهيمنة مؤسساتية. فالمجال السياسي، في ممارسته الفعلية، لا يتيح دومًا قيام فضاء تواصلي عقلاني، بل يظل محكومًا بمنطق المصلحة والاستراتيجية، مما يضعف من فاعلية آليات "العقلانية التواصلية" التي تبناها لينكلايتر متأثرًا بأعمال يورغن هابرماس في سياق العلاقات الدولية[1] .

ثانيًا، يواجه هذا التيار صعوبة في التوفيق بين التزامه الأخلاقي الراديكالي، ودعوته إلى بناء مجتمع دولي أكثر عدالة، وبين ضرورة الانخراط الفعلي في العالم المادي، بما فيه من صراعات ومصالح. فقد لاحظ عدد من النقاد، مثل روبرت كوكس وريتشارد آشلي، أن التيار النقدي المعياري يفتقر إلى استراتيجية عملية لكيفية التأثير في البُنى القائمة أو استبدالها، وهو ما يخلق نوعًا من المفارقة بين الطموح التحرري والفاعلية الواقعية[2].

ثالثًا، تثير المقاربة الخطابية التي يتبناها هذا التيار، والتي تولي أهمية كبيرة لتحليل أنماط التمثيل والاستبعاد، إشكالًا يتعلق بمدى كفايتها لفهم الديناميات العميقة للحرب. فتركيز النقديين على الخطاب والاعتراف قد يُفضي إلى إغفال الأبعاد المادية للنزاع، خاصة الاقتصادية والعسكرية منها، التي لا يمكن تفكيكها فقط من خلال الأدوات الرمزية[3]. وقد أشار ديفيد كامبل في نقده التفكيكي إلى أن التركيز على اللغة يمكن أن يقود إلى "تسييس الخطاب" بشكل يُفرغ السياسة من مضمونها المادي[4].

رابعًا، تتصل الحدود الأنطولوجية أيضًا بضعف القدرة التفسيرية أمام اللاعقلانية والقوة والمبالغة في الطابع المعياري، الذي يؤدي أحيانًا إلى تجريد مفرط للواقع الدولي. فالرغبة في تجاوز النموذج الوضعي تجعل التحليل النقدي عرضة لفقدان أدوات تفسير سلوك الدول والمؤسسات

[1] - Andrew Linklater, The Transformation of Political Community.
[2] - Richard Ashley, “The Poverty of Neorealism,” in Neorealism and Its Critics, ed. Robert O. Keohane (New York: Columbia University Press, 1986), 255–300; Robert Cox, “Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory,” Millennium 10, no. 2 (1981): 126–155.
[3] - Kimberly Hutchings, International Political Theory: Rethinking Ethics in a Global Era (London: SAGE Publications, 1999), 132–135.
[4] - David Campbell, National Deconstruction: Violence, Identity, and Justice in Bosnia (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1998),.

ضمن شروط القوة والبقاء[1]. وكما لاحظ ستيفن سميث، فإن الانشغال بالتحرر قد يُفضي إلى إهمال "التحليل الاستراتيجي" الذي ما زال ضروريًا في فهم الظواهر الصراعية[2].

في المحصلة، لا تقلل هذه التحديات من القيمة النظرية لهذا التيار، لكنها تبرز الحاجة إلى إعادة توسيع أفقه التحليلي، بحيث يتمكن من الجمع بين الالتزام الأخلاقي والتحليل الواقعي، وبين النقد البنيوي والتفكيك المعرفي، من جهة، وتقديم أدوات عملية لفهم آليات إنتاج الحرب، من جهة أخرى. فالتحدي الذي يواجهه التيار النقدي المعياري يتعلق بقدرته على جعل الغايات الإصلاحية ممكنة ضمن عالم تُشكّله قوى مادية ومعرفية معقدة.

المطلب الثاني: الأنطولوجيا البنيوية للهيمنة والصراع في النقدية النيوغرامشية

أولًا: النشأة والسياق التاريخي للتيار النقدي النيوغرامشي

تشكل التيار النقدي النيوغرامشي في حقل العلاقات الدولية في سياق من التحولات الفكرية والسياسية الكبرى التي شهدها النظام العالمي أواخر القرن العشرين، وخاصة مع صعود النيوليبرالية، وتفاقم التفاوتات الاقتصادية، وبروز ظواهر الهيمنة في أشكالها المعولمة. وقد استلهم هذا التيار أفكاره من أعمال أنطونيو غرامشي، المفكر الإيطالي الماركسي الذي أعاد صياغة مفاهيم السلطة والهيمنة والثقافة في إطار نظري يتجاوز النزعة الاقتصادية الصرفة، ويتبنى تصورًا أكثر تركيبًا للعلاقات الاجتماعية والسياسية[3]. في "دفاتر السجن"، سعى غرامشي لتجاوز الماركسية الاقتصادوية التي لم تستطع تفسير صمود الرأسمالية في الغرب. خلص إلى أن الدولة الرأسمالية لا تحكم فقط بالقوة (الإكراه) عبر أجهزتها القمعية (الشرطة، الجيش)، بل بشكل أساسي بالقيادة الأيديولوجية والثقافية (الهيمنة)[4].

[1] - محمد أحمد أبو زيد ، مرجع سابق .

[2] - Steve Smith, “Positivism and Beyond,” in International Theory: Positivism and Beyond, eds. Steve Smith, Ken Booth, and Marysia Zalewski (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

[3] - Antonio Gramsci, Selections from the Prison Notebooks, edited and translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (New York: International Publishers, 1971).

[4] - آلن هاو ، مرجع سابق .

جاء عمل كوكس كرد فعل مباشر على هيمنة الواقعية الجديدة لكينيث والتز، التي قدمت نظرية لا–تاريخية وثابتة للنظام الدولي. أراد كوكس إعادة إدخال التاريخ والقوى الاجتماعية وديناميكيات التغيير في التحليل[1]. قدّم روبرت كوكس مساهمة محورية في نقل أفكار غرامشي إلى حقل العلاقات الدولية، من خلال نقده للمقاربات الوضعية والمؤسساتية، وتأكيده على الطابع التاريخي والمركب للواقع الدولي.

في مقاله الشهير "الطرق نحو نظرية جديدة في العلاقات الدولية" (1981)، ميز كوكس بين "النظرية النقدية" و"النظرية التقريرية"، معتبرًا أن الأولى تُسائل الشروط التاريخية والسلطوية التي تنتج النظام الدولي، بينما تكتفي الثانية بوصف الواقع كما هو[2].

تأسس التيار النيوغرامشي إذًا داخل تقاطع ثلاثي: بين الفكر الماركسي الغربي، والدراسات ما بعد الوضعية، والنقد المتجذر في واقع العولمة النيوليبرالية[3]. وقد قدّم إطارًا نظريًا يسمح بفهم العلاقات الدولية من خلال تحليل البُنى الاجتماعية والثقافية والمعرفية التي تُنتج الهيمنة وتُعيد إنتاجها، لا سيما من خلال المؤسسات الدولية، والأنظمة الاقتصادية، وخطابات الشرعية[4].

ثانيًا: البناء الانطولوجي للمفاهيم الاساسية للتيار النقدي النيوغرامشي

يقوم التيار النقدي النيوغرامشي، كما طوره روبرت كوكس، على جملة من المرتكزات النظرية التي أعادت تعريف مفاهيم السلطة، والنظام، والهيمنة، ضمن إطار تحليلي يُراكم بين البنية المادية والرمزية، ويربط المحلي بالعالمي، والزمني بالبُنيوي. ويُمكن تحديد أبرز هذه المرتكزات على النحو الآتي:

العلاقة الجدلية بين البنية والفاعلية

[1] - Linklater, Andrew."The english school", in Theories of International Relations.
[2] - Robert W. Cox, "Social Forces, States and World Orders , p 269-279.
[3] - Stephen Gill, "Gramsci, Historical Materialism and International Relations," in Gramsci, Historical Materialism and International Relations, ed. Stephen Gill (Cambridge: Cambridge University Press, 1993).
[4] - Robert W. Cox, Production, Power and World Order: Social Forces in the Making of History (New York: Columbia University Press, 1987).

يرفض التيار النيوغرامشي الفصل الميكانيكي بين البنية والفاعلية، كما تفعل المقاربات الوضعية. فالعلاقات الاجتماعية، في تصور كوكس، تُبنى عبر تفاعل مستمر بين القوى المادية (مثل الإنتاج، الطبقات، التكنولوجيا) والقوى الفكرية والمؤسسية (مثل الأيديولوجيا، الخطابات، النظم القانونية). هذه العلاقة الجدلية تُنتج نسقًا تاريخيًا معينًا، تتحقق فيه الهيمنة ضمن توازن متغير بين القوة والقبول[1].

الوجود كبنية تاريخية (Historical Structure): أنطولوجيًا، يرى كوكس أن الواقع الدولي يتكون من "بنى تاريخية" متغيرة. كل بنية هي تفاعل جدلي بين ثلاثة عناصر: 1- القدرات المادية (التكنولوجيا، الثروة، الأسلحة)؛ 2- الأفكار (المعتقدات المشتركة حول شرعية النظام الاجتماعي والسياسي، والمعاني بينذاتية)؛ و3- المؤسسات (الآليات التي تديم وترسخ النظام، كالدول والقانون الدولي والمنظمات الدولية). الهيمنة العالمية هي حالة تتوافق فيها هذه العناصر الثلاثة وتدعم بعضها البعض. على سبيل المثال، كانت هيمنة Pax Britannica في القرن التاسع عشر تتكون من: قدرات مادية (التفوق البحري والصناعي البريطاني)، وأفكار (الليبرالية، التجارة الحرة، معيار الذهب)، ومؤسسات (الإمبراطورية البريطانية، توازن القوى الأوروبي) .[2]

مفهوم الهيمنة المركّبة

استلهم كوكس من غرامشي تصورًا موسّعًا للهيمنة، لا يختزلها في السيطرة القسرية أو الغلبة العسكرية، إذ يُدرج داخلها البُعد الثقافي والمعرفي والشرعي. فالهيمنة تُمارَس حين تنجح طبقة أو قوة مهيمنة في تقديم مصالحها الخاصة على أنها مصالح عامة، وتُنتج توافقًا اجتماعيًا يُخفي علاقات السيطرة. في السياق الدولي، تتحقق هذه الهيمنة من خلال المؤسسات الاقتصادية

[1] - Robert Cox, "Social Forces, States and World Order, p 269-279 .

[2] - Ibid .

العالمية (مثل صندوق النقد والبنك الدولي)، التي تُضفي طابعًا "محايدًا" على اختيارات ناتجة عن مصالح نخبوية[1].

التكوين الثلاثي للنظام العالمي

يُقدّم كوكس إطارًا تحليليًا يُركّب بين ثلاثة عناصر لفهم النظام العالمي: -1 قوى الإنتاج؛ -2 أشكال الدولة؛ -3 النظم العالمية. يُنظر إلى هذه العناصر ضمن علاقة تفاعلية تُنتج ترتيبات القوة وتُعيد تشكيلها. ترتبط الدولة في هذا التصور بالبنية الطبقية الداخلية والخارجية، وتعمل كوسيط في منظومة الهيمنة العالمية[2].

إعادة تعريف المفاهيم الكلاسيكية

يقوم التيار النيوغرامشي بإعادة بناء مفاهيم محورية في العلاقات الدولية، مثل "الدولة"، "السيادة"، و"الأمن"، من زاوية تنقد بنيتها الأيديولوجية وتفكك تحيزاتها. حيث يعيد فهم الأمن مثلًا من الحماية من تهديد خارجي فقط، الى آلية اجتماعية لإعادة إنتاج النظام الطبقي والهيمنة.[3]

ثالثًا: الحرب في التيار النقدي النيوغرامشي : تحليل للابعاد الانطولوجية للتيار

تتبع الرؤية الأنطولوجية للحرب في التيار النيوغرامشي من فهمه الجذري لطبيعة النظام الدولي باعتباره فضاءً للصراع الهيكلي والاجتماعي، حيث تتداخل العوامل الاقتصادية والثقافية والمعرفية في إنتاج شروط العنف. فالحرب، حسب هذا التصور، لا تنفصل عن الحياة

[1] - Ibid .
[2] - Robert W. Cox, Production, Power and World Order.
[3] - Mark Rupert, Producing Hegemony: The Politics of Mass Production and American Global Power (Cambridge: Cambridge University Press, 1995).

السياسية والاقتصادية، و يُنظر إليها كأحد الأشكال المتطرفة التي تظهر فيها تناقضات الهيمنة.[1]

الحرب كنتاج لصراعات طبقية وهيكلية

في الإطار النيوغرامشي، يُفهم العنف المسلح والحرب ضمن بنية النظام الرأسمالي العالمي، الذي يُنتج تفاوتات بنيوية بين المركز والأطراف، وبين الطبقات الاجتماعية. هذه التفاوتات مع ما تفضي اليه من استغلال اقتصادي، تولّد كذلك احتقانًا اجتماعيًا قد ينفجر في شكل نزاعات مسلحة. الحرب إذًا ليست خللًا في بنية النظام على رأي والتز ، قد تكون إحدى آلياته في إعادة إنتاج توازن القوة على الصعيدين المحلي والعالمي.[2]

الهيمنة المعولمة وإعادة إنتاج العنف

لا تقتصر شروط الحرب في التصور النيوغرامشي على المواجهة المباشرة بين الدول، فهي تشمل أيضًا الحروب غير المتكافئة، النزاعات بالوكالة، والحروب المرتبطة بإعادة تشكيل الأنظمة الإقليمية. تُعد هذه الحروب انعكاسًا لصراعات داخلية تعبر عن نفسها في الساحة الدولية، حيث تُستخدم أدوات الهيمنة (السياسية، الاقتصادية، الثقافية) لإخضاع مجتمعات أو دول تعيق مشروع الهيمنة العالمية.[3]

[1] - Stephen Gill, Power and Resistance in the New World Order (New York: Palgrave Macmillan, 2003).
[2] - Robert W. Cox, “Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory.
[3] - Andreas Bieler and Adam David Morton, Global Capitalism, Global War, Global Crisis (Cambridge: Cambridge University Press, 2018).

الحرب كأداة لإعادة صياغة التوازن العالمي

تنشأ الحروب الكبرى عندما تبدأ البنية التاريخية القائمة في التفكك. يحدث هذا عندما يظهر تناقض بين عناصرها الثلاثة، كأن تتفوق القدرات المادية لقوة صاعدة على قدرات القوة المهيمنة، مما يؤدي إلى صراع حول الأفكار والمؤسسات التي يجب أن تحكم النظام الجديد[1].

يرى التيار النيوغرامشي أن الحروب في كثير من الأحيان تنشأ حين يختل توازن الهيمنة العالمية، فتسعى القوى الصاعدة إلى كسر النظام القائم، أو تعمل القوى المسيطرة على إعادة ترسيخ موقعها عبر التدخل العسكري. يتجلى ذلك في الحروب التي تواكب مراحل الانتقال في النظام العالمي، حيث يتقاطع العنف مع إعادة صياغة العلاقات البنيوية.[2]

المسألة المعرفية في فهم الحرب

إلى جانب التحليل المادي، يُبرز التيار النيوغرامشي الدور الحاسم للمعرفة والخطاب في تشكيل التصورات حول العدو، والخطر، والتدخل. تُنتج المؤسسات الدولية، ووسائل الإعلام، ومراكز التفكير، خطابات تُضفي الشرعية على الحرب، وتُعيد صياغة المصالح الاستراتيجية في قوالب إنسانية أو أمنية. بهذا، يُصبح فهم الحرب مشروطًا أيضًا بالخطاب الذي يبررها ويُخفي بنيتها الطبقية.[3]

رابعًا :حدود التصور الأنطولوجي للتيار النقدي النيوغرامشي

رغم الإسهامات المعرفية العميقة التي قدّمها التيار النقدي النيوغرامشي في كشف البُنى العميقة للهيمنة وارتباطها بشروط إنتاج الحرب، إلا أن مقاربته لا تخلو من إشكالات تحدّ من قدرتها على تقديم تفسير شامل للظاهرة. وتتمثل أبرز هذه الحدود في ما يلي:

[1] - Linklater, Andrew."The english school", in Theories of International Relations.
[2] - Robert W. Cox with Timothy J. Sinclair, Approaches to World Order (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).
[3] - Stephen Gill and David Law, “Global Hegemony and the Structural Power of Capital,” International Studies Quarterly 33, no. 4 (1989).

الغلبة الاقتصادية على حساب العوامل الأخرى

يُرجّح التيار النيوغرامشي العوامل الاقتصادية والبنيوية في تفسير الظواهر الدولية، بما في ذلك الحرب. ورغم إدراجه للأبعاد الثقافية والمعرفية، فإن تفسيراته تبقى مرتبطة بشكل وثيق بمنطق الإنتاج والرأسمال والطبقة. هذا التركيز قد يُغفل الديناميات النفسية، الرمزية، والهوياتية التي تُسهم في اندلاع النزاعات المسلحة خارج منطق التناقض الطبقي أو الاستغلال الاقتصادي[1].

ضعف التحديد النظري لمفهوم الدولة كفاعل مستقل

رغم اهتمام كوكس بأشكال الدولة الوطنية ضمن العلاقة مع النظام العالمي، إلا أن تصوره يجعل من الدولة أداة وظيفية في خدمة القوى الطبقية والهيمنة البنيوية، مما يُضعف من إمكانيات فهم مبادرات الدولة أو صراعاتها الداخلية كدوافع للحرب. في حالات عديدة، تتجاوز الدول موقعها البنيوي، وتخوض حروبًا مدفوعة بأهداف سيادية، إيديولوجية، أو حتى وجودية، وهي أبعاد يصعب تأطيرها في النموذج النيوغرامش.

غموض الحدود بين التفسير والتحليل النقدي

يسعى التيار النيوغرامشي إلى تجاوز التفسير الوضعي، لصالح تحليل نقدي يتقاطع مع مشروع التغيير. إلا أن هذا التداخل بين الفهم والتقويض قد يُنتج إرباكًا منهجيًا، خاصة في دراسة الحرب، حيث يغدو من الصعب الفصل بين توصيف الظاهرة كعنف منظم، وبين انتقادها كأداة لإعادة إنتاج الهيمنة. هذا الغموض قد يُضعف من فاعلية النظرية في تقديم أنماط تفسيرية دقيقة ومستقلة عن المشروع الأخلاقي.[2]

محدودية التطبيق التجريبي

[1] - Stephen Gill, Gramsci, Historical Materialism and International Relations (Cambridge: Cambridge University Press, 1993).

[2] - Mark Rupert, Producing Hegemony: The Politics of Mass Production and American Global Power (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 11–15.

رغم القيمة التحليلية العالية للتصورات النيوغرامشية، إلا أن ترجمتها إلى أدوات تحليل ملموسة تظل محدودة. فالبنية المفاهيمية المعقدة (مثل الترابط الثلاثي بين قوى الإنتاج وأشكال الدولة والنظام العالمي) تفتقر إلى أدوات قابلة للاختبار أو التكميم، مما يجعل مساهماتها أكثر قربًا من التأمل النظري منه إلى التحليل العملي الدقيق للحروب المعاصرة.[1]

المبحث الثاني : الأنطولوجيا ما بعد الحداثية: الحرب كنتاج للمعرفة والتمثيل الخطابي

تُمثل النظرية ما بعد الحداثية منعطفًا نقديًا في حقل العلاقات الدولية، إذ تتجاوز الأسس الوضعية والميتافيزيقية التي سادت فهم الظواهر السياسية، بما فيها الحرب. وفي سياق تحليل أسباب الحروب، تركز ما بعد الحداثة على الكيفيات التي يتم من خلالها إنتاج المعاني والسلطات عبر الخطاب والمعرفة. يركّز هذا المبحث على الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحرب من خلال مقاربتين مركزيتين في الفكر ما بعد الحداثي: أولًا، التيار التفكيكي كما تجلّى في أعمال جاك دريدا، والذي يُسائل البُنى اللغوية والمعرفية التي تُنتج ثنائيات تقابلية تُؤسس لشرعنة العنف؛ وثانيًا، مقاربة ميشيل فوكو التي تُعيد التفكير في العلاقة بين السلطة والمعرفة وتكشف عن الدور الشبكي غير المركزي للسلطة في تشكيل تصورات العدو والحرب. ومن خلال تحليل هذين التيارين، يسعى المبحث إلى تفكيك المسلّمات الأنطولوجية الكامنة في خطاب الحرب وإبراز الطابع البنائي والمعرفي لأسسها.

المطلب الأول: الحرب من منظور التفكيك الخطابي عند جاك دريدا

أولا: تبلور المنطق التفكيكي في المسار الفلسفي لما بعد الحداثة

في كثير من الأحيان يستخدم العديد من المنظرين المرتبطين بما بعد الحداثة مصطلح "التفكيك" (Deconstruction) للإشارة الى التيار مابعد الحداثي ، إذ تُعد التفكيكية أحد أهم التصورات الفكرية تأثيرًا في سياقات ما بعد الحداثة، برزت في ستينيات القرن العشرين كاتجاه

[1] - Andreas Bieler and Adam David Morton, “Theoretical and Methodological Challenges of neo-Gramscian Perspectives in International Political Economy,” International Gramsci Journal 2, no. 1 (2016).

نقدي للفلسفة الغربية الكلاسيكية، وبخاصة ميتافيزيقا الوجود ، والتي كانت تفترض أن المعنى مستقر، وأن الحقيقة متاحة ومباشرة في الوجود ، وكان من أبرز ممثلي هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (Jacques Derrida) . أكد دريدا أن المعنى لا يتحدد بشكل نهائي، وأن كل نص يخفي داخله آثارًا من نصوص أخرى، وأن الدلالة مؤجلة دومًا وغير ثابتة.

حتى و ان استُخدم مصطلح التفكيكية للإشارة الى نظرية مابعد الحداثة فإنها و على نطاق واسع تعتبر ممارسة نقدية تعمل على الكشف عن ما هو مستبعد أو مسكوت عنه في النصوص، وتُفكك ادعاءات الاتساق والانسجام والمعنى الثابت. وهي محاولة لقراءة النصوص بطريقة تكشف تناقضاتها الداخلية و رهانات السلطة الكامنة فيها. و باختصار فإن التفكيكية معنية بكل من تأسيس وإلغاء تأسيس أي كليّة، سواء كانت نصًا أو نظرية أو خطابًا أو بنية أو بناءً أو تركيبًا أو مؤسسة [1] .

في ضوء هذه الخلفية، يمكن فهم التفكيك كإستراتيجية أنطولوجية لا ترى بموضوعية الواقع ولا بتحديده لذاته، بل يتم إنتاجه وإعادة إنتاجه باستمرار من خلال الخطابات التي تُنشئ معانيه.

ثانياً: البناء الأنطولوجي للتصورات المركزية في التفكيكية

تقوم التفكيكية، بصفتها مشروعًا فلسفيًا ما بعد حداثي، على زعزعة التصورات التقليدية للواقع. إذ ترفض وجود "حقيقة موضوعية" مستقرة يمكن تمثيلها أو إدراكها خارج وسائط الخطاب واللغة. وعليه، فإن تفكيكيات جاك دريدا تقدم تصورًا أنطولوجيًا مغايرًا تمامًا لما تفترضه التصورات الوضعية من استقرار نسبي في بنية الواقع و تقوم على الافتراضات التالية :

الرفض الأنطولوجي للثبات والمعنى المستقر

في نظر التفكيكية، الواقع ليس كيانًا مستقلاً ومتعاليًا على اللغة، بل هو "نصي" بطبيعته. أي أن كل ما نُدركه عن الواقع هو نتيجة لسلسلة من التمثلات الخطابية واللغوية، التي لا يمكن

[1] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, Scott Burchill et al.,3rd ed. (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p 169 .

فصلها عن السياق الذي أنتجها. لذلك، لا يوجد معنى نهائي أو واقع خارجي صلب يمكن أن يُقدَّم كنقطة انطلاق في التحليل، لأن كل محاولة للقبض على المعنى تقع في شبكة من التأجيلات والتناقضات النصية.

يسعى جاك دريدا عبر مفهوم "اللامركزية" إلى تقويض مركزية العقل واللغة والإنسان كمحور للميتافيزيقا الغربية ، و يحل محل الذات الفاعلة "بنية" اللغة نفسها القائمة على "لعبة الاختلافات والفروق"، مما يؤدي إلى تلاشي الإنسان كمحور للفكر والفعل[1] .

التناص كأساس انطولوجي لفهم العلاقات الدولية

يُعدّ التناص (Textuality) موضوعًا شائعًا في ما بعد الحداثة. وينبع أساسًا من إعادة تعريف دريدا لـ"النص" في كتابه "في علم النحو"[2] و هو تصور أن العلاقات الدولية عبارة عن بُنى من النصوص والخطابات، حيث يتم إنتاج الفاعلين الدوليين، والهويات، والمصالح، من خلال التمثيلات المتغيرة. فمفاهيم مثل "الدولة"، "السيادة"، "العدو"، أو حتى "الأمن"، ليست ذاتا مستقلة او مادة موحدة ، و لكنها سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى و خطابات لها تاريخ وسياق على حد وصف ليتش [3].

لا يكتفي التحليل التفكيكي بما يُقال فقط حيث ينصب محور اهتمامه بما لا يُقال ، و بما يتم استبعاده أو نسيانه من الخطاب، لأنه يشكل البنية غير المرئية للمعنى الظاهر.

الذات والآخر في ضوء التفكيك

تتساءل ما بعد الحداثة: كيف فُرضت الهوية السياسية من خلال الممارسات المكانية وتمثيلات التوطين والتباعد؟ وكيف بُني مفهوم الذات المحددة إقليميًا في مواجهة الآخر المُهدِّد؟[4]

[1] - محمد الأمين بن قانة، المشروع ما بعد الحداثي في التنظير للعلاقات الدولية (مذكرة ماجستير، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، 2015)، ص 96

[2] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, p 168 .

[3] -محمد الأمين بن قانة . مرجع سابق ، ص 112 .

[4] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations , p 176 .

في التصور الأنطولوجي التفكيكي، لا وجود لذات دولية مستقرة. من المهم إدراك أن الهويات السياسية لا وجود لها قبل التمييز بين الذات والآخر ، و لا ينبغي أن تُبنى الهوية السياسية ضد الآخرين أو على حسابهم، ولكن الخطابات والممارسات السائدة في مجال الأمن والسياسة الخارجية تميل إلى إعادة إنتاج هذا المنطق ، وكما يقول شابيرو : "بقدر ما يُنظر إلى الآخر على أنه شيء لا يشغل نفس الفضاء الأخلاقي الذي تشغله الذات، يُصبح السلوك تجاه الآخر أكثر استغلالية" [1] و في هذا السياق تُشبع الذات و الآخر بقيم الاختلاف و التناقض و تنتج في ظلها مفاهيم الأمن/ الخطر ، الدولة / الإرهاب ، هذه الثنائيات التي تُسوق من خلال ممارسات خطابية تُعطي شرعية لهوية ما على حساب أخرى.

ثالثاً: الحروب من منظور تفكيكي : تحليل للأبعاد الانطولوجية للتفكيكية

لا تبحث مابعد الحداثة بمقاربتها التفكيكية عن أسباب موضوعية للحرب على غرار ما تفعله الواقعية أو الليبرالية، و لكنها تسعى إلى تحليل الخطابات التي تجعل الحرب ممكنة ومقبولة، وتفكك البُنى اللغوية التي تنتج "العدو"، وتُبرّر العنف باسم مفاهيم تبدو في ظاهرها عقلانية أو أخلاقية.

الحرب كمنتج خطابي:

لا تُفهم الحرب في المنظور التفكيكي كنتيجة طبيعية لصراع مصالح مادية أو توازنات قوى ، و انما هي فعل يتم تشييده خطابياً. فواقع سياسات القوة (مثل أي واقع اجتماعي) يتشكل دائمًا من خلال النص وأنماط التمثيل المنقوشة بهذا المعنى ، حيث تلعب الخطابات السياسية، الإعلامية، الأكاديمية وحتى الحقوقية، دورًا محوريًا في تشكيل الإدراك الجماعي لطبيعة "الخطر" و"العدو" و"الشرعية" و "العنف". يزعم دير ديريان أن ما بعد الحداثة معنية بكشف رهانات النصوص وراء سياسات القوة. ولعله من الأفضل القول إنها معنية بكشف التفاعل

[1] - Ibid , p 178 .

النصي داخل سياسات القوة، لأن آثار التناص لا تكمن وراء السياسة، بل هي متأصلة فيها ، و تبرز عبر تبني الخطابات توظف لغة تحمل في طياتها ثنائيات تقابلية ك :

"الذات / الآخر" "الخير / الشر" "الديمقراطية / الإرهاب" "الحرية / العبودية" "النظام / الفوضى"

كل هذه الثنائيات تُستخدم لتبرير العنف كضرورة أخلاقية أو كأداة حماية للهوية القومية أو النظام الدولي.[1]

لا تكتفي التفكيكية بتحليل اللغة ، إذ ترى أن الحرب ذاتها تصبح نوعًا من الأداء الرمزي الذي يُعيد إنتاج النظام السياسي ويُعيد تأكيد السلطة. فالكلمات هي السلاح ، تُمهد له وتُؤسسه. ولهذا فإن الحرب تبدأ بالكلمات قبل القنابل .

تفكيك سرديات الحرب و هيمنة المعنى :

تطرح التفكيكية أسئلة من قبيل: من يحدد معنى كلمة "إرهاب"؟ ومن يستثني "العنف المشروع" للدولة من هذا التوصيف؟ لماذا تُصور بعض الحروب على أنها "تحرير"، وأخرى على أنها "عدوان"؟ من يُمنح حق استخدام القوة باسم "الدفاع عن الديمقراطية"؟

ويستعمل ما بعد الحداثيون منهج التفكيك في تحليل أسباب الحرب ، إذ من خلال عملية التفكيك يتم الكشف عن عدة تفسيرات للحرب ، ويظهر المنهج ما بعد الحداثي، من خلال التفكيك، كأداة فعّالة في تحليل الخطابات الحربية وتفكيك بنيتها المفاهيمية، لاسيما في السياقات التي تنطوي على تبريرات سياسية للصراعات ليست برئية كما أشار جيمس دير دريان . ففي تحليل ما بعد الحداثيين لحرب الخليج الثانية (1991)، وحرب العراق الثالثة (2003)، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، يتبين أن الخطاب الأمريكي الرسمي عمد إلى تقديم تفسير أحادي للأحداث، تم فيه تهميش قراءات بديلة وتعددية للواقع. فبينما ادعت الإدارة الأمريكية أن الهدف من الحرب هو القضاء على أسلحة الدمار الشامل أو نشر الديمقراطية أو الرد على

[1] - Ibid , p 168 .

الإرهاب، يكشف التفكيك أن هذه المصطلحات ليست محايدة، بل محمّلة بدلالات سلطوية تُعيد إنتاج الهيمنة عبر اللغة. إن توصيف العراق بـ"محور الشر"، أو تقديم الحرب كضرورة أخلاقية يُبرز كيف يتم استعمال المفاهيم الأخلاقية والسياسية لتبرير التدخلات العسكرية،. هكذا، يتيح التفكيك إعادة قراءة هذه السرديات، والكشف عن تعددية الحقائق خلف ظاهر الخطاب، والتساؤل عن ما تم إقصاؤه أو تغييبه عمداً في سرد الرواية الرسمية للحرب.[1]

بناء الهوية العدائية كمصدر للنزاع :

تتساءل ما بعد الحداثة: كيف فُرضت الهوية السياسية من خلال الممارسات المكانية وتمثيلات التوطين والتباعد؟ وكيف بُني مفهوم الذات المحددة إقليميًا في مواجهة الآخر المُهدِّد؟[2]

ترى التفكيكية أن الهويات القومية ليست معطيات بل بُنى سردية تُعاد إنتاجها باستمرار، وغالباً ما يتم تكريسها عبر تحديد "عدو وجودي". هذا العدو ليس خارجياً بالضرورة، بل هو ضروري لبناء الداخل وتحديد الذات الوطنية. بالتالي، الحرب لا تنبع من احتكاك مادي، بل من تصور متخيل ومبنٍ سردياً عن الآخر.[3]

لقد بيّن المنظور ما بعد الحداثي التفكيكي أن الهوية السياسية ل هي نتاج لسيرورات خطابية وممارسات سلطوية تُعيد إنتاج الذات من خلال نفي الآخر وتهميشه. وكما يشير ديفيد كامب، فإن الدولة الحديثة تُعرّف ذاتها من خلال رسم "الآخر" كخطر خارجي أو داخلي، بحيث تصبح سياسات الأمن هي الوسيلة الأساسية لإنتاج الهوية السياسية[4]. إن هذا "الافتراض الأنطولوجي"، الذي يسميه كامبل بـالأنطوبولوجيا *(Ontopology) يفترض التطابق التام بين

[1]- محمد الأمين بن قانة . مرجع سابق ، ص 72-73 .

[2] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, p 176 .

* مصطلح مركّب صاغه جاك دريدا (Derrida) يشير إلى الفكرة التي تربط بين الهوية والحيّز الجغرافي، أو أن تكون الكينونة السياسية مرتبطة بمكان معين بشكل حتمي. في الفكر السياسي ما بعد البنيوي: يشير إلى الافتراض بأن الهوية السياسية يجب أن تتطابق مع إقليم محدد (أي: "الأمة يجب أن تطابق الدولة"). ديفيد كامبل استخدم هذا المفهوم لشرح كيف أن فكرة الدولة القومية الحديثة – التي تتطلب وحدة بين الأرض والهوية – تُنتج العنف مثل التطهير العرقي.

[4] - Campbell, David. Writing Security: United States Foreign Policy and the Politics of Identity. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1992.

الإقليم والهوية، الدولة والأمة، مما يجعل أي اختلاف يُنظر إليه كتهديد يجب احتواؤه أو استبعاده.[1]

من هذا المنظور، يصبح العدو شرطًا أنطولوجيًا لوجود الذات السياسية، حيث تقوم السياسات الخارجية والداخلية على خطاب "الاحتواء" المزدوج، أي ضبط الخارج والداخل معًا. فكما يرى كامبل، ان أحداث مثل الحرب البوسنية أو حتى الحرب الباردة تجسيد متطرف لهذا المنطق ذاته. فسياسات التطهير العرقي، على سبيل المثال، ليست سوى تجسيد راديكالي لمطلب بناء هوية متجانسة على مستوى الدولة–الأمة[2].

وقد أظهرت دراسات سيمون دالبي Simon Dalby كيف أن حتى الممارسات اليومية كالسياحة، أو الخطابات الجغرافية السياسية خلال الحرب الباردة، تعيد إنتاج ثنائية "الداخل الآمن مقابل الخارج الخطِر"، مما يضفي على الفضاء السياسي بُعدًا أخلاقيًا يصنّف الآخر كأدنى منزلة. وهكذا، فإن ما بعد الحداثة تُظهر أن الحرب نتيجة لرغبة أنطولوجية في بناء ذات موحدة، نقية، ومحصّنة ضد "الآخر[3]."

رابعاً: حدود التصور الأنطولوجي للتفكيكية

رغم الأثر العميق الذي أحدثته المقاربة التفكيكية في حقل العلاقات الدولية – خصوصًا في تقويض مسلمات الواقعية والوضعية حول الحرب والخطاب والهوية – إلا أن هذه المقاربة لا تخلو من حدود إبستمولوجية وأنطولوجية تجعلها محل نقد واسع. أهم هذه الحدود تتعلق بطبيعة التفكيك ذاته وبتعقيدات تطبيقه على الظواهر السياسية الحية، خاصةً ظاهرة الحرب.

أول ما يُؤخذ على التفكيكية هو الغياب التام للتأسيس فالمنهج التفكيكي يوصف غالبًا بأنه غامض، غير منتظم، وغير قابل للتكرار. يخضع إلى تأويلات ذاتية قد تختلف من باحث

[1] - Campbell, David. National Deconstruction: Violence, Identity, and Justice in Bosnia.

[2] -Ibid .

[3] - Dalby, Simon. “Geopolitical Discourse: The Soviet Union as Other.” Alternatives 18, no. 3 (1993).

لآخر، ما يجعل نتائج التحليل غير قابلة للتحقق أو المقارنة.و يصعب معها فهم و تفسير سببية أي ظاهرة سياسية فالسببية نفسها حسب التفكيكية مفهوم خطابي مشكوك فيه. هذا ما يجعل التفكيكية، بحسب نقّادها، غير قادرة على تفسير لماذا تقع الحرب في لحظة معينة وفي مكان معين، ما دام كل شيء يُرد إلى "الخطاب" و"النص".

تقوم التفكيكية على نزع الطابع المادي عن الظواهر الدولية، بما فيها الحروب، عبر اختزالها إلى "نصوص". وهذا ما يجعل مقاربتها تبدو منفصلة عن واقع المعاناة الإنسانية أو عن وقائع الموت والدمار التي تُرافق النزاعات المسلحة ، و كذلك الجيوش، والسياسات، والتحالفات لا تعمل فقط داخل النص، بل تؤثر في الواقع الملموس. فالحرب لها وقع و أثر مادي مباشر ولا يبدو اختزالها في ظاهرة خطابية مقنعا للعديد من الملاحظين .

المطلب الثاني: جينيالوجيا السلطة والمعرفة وتشكيل أسباب الحروب عند ميشيل فوكو

أولاً: مقاربة فوكو (الأركيولوجيا والجينيالوجيا) وسياق تشكلها

يُعد ميشيل فوكو (Michel Foucault) من أبرز مفكري ما بعد الحداثة وأكثرهم تأثيرًا في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وقد شكّلت أعماله ثورة في فهم العلاقة بين السلطة والمعرفة والخطاب، وخصوصًا في تفكيك المفاهيم المرتبطة بالدولة، السيادة، والتهديد.

ظهر فكر فوكو في فرنسا في النصف الثاني من القرن العشرين، في سياق فكري انتقد بشدة الإرث العقلاني للحداثة الأوروبية، وخاصة التصورات الليبرالية والماركسية التقليدية للسلطة. وقد تأثر فوكو بالفلسفة النيتشوية (Nietzsche)، وخصوصًا في رؤيته للتاريخ بوصفه صراعًا للقوى وليس تقدمًا خطيًا. و كذلك نقده العميق لـ"ميتافيزيقا الذات" التي اعتبرت الإنسان فاعلًا حرًّا ومتعاليًا على السياقات الاجتماعية.

ارتبط مشروعه بسياقات الهيمنة الغربية حيث نشأ فكر فوكو في ظل تحولات ما بعد الاستعمار، وحركات 1968 الطلابية، وصعود الدولة البيروقراطية في فرنسا، ما جعله يتساءل:

كيف تُنتج الدولة "الطبيعية" الخاضعة دون عنف مباشر؟

كيف تُبنى الحقيقة حول "الجنون" و"الجريمة" و"الانحراف"؟

ما علاقة السلطة بالمعرفة التي تقدمها الجامعات والعلوم الاجتماعية؟

كل هذه الأسئلة قادت إلى رؤية تؤسس لفهم جديد للواقع، كبناء مستمر عبر خطاب وسلطة.

تطور منهج فوكو: من الأركيولوجيا إلى الجينيالوجيا

الأركيولوجيا (Archaeology):

هي المرحلة الأولى من مشروع فوكو، وتركز على تحليل الشروط المعرفية التي تجعل إنتاج خطاب معين ممكنًا في حقبة ما. الهدف منها ليس اكتشاف "الحقيقة" و انما تحليل قواعد الخطاب ، التي تحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن، وما يُعد "معرفة" وما لا يُعد كذلك.[1]

مثال على ذلك: في كتابه "الكلمات والأشياء" (1966)، يُظهر فوكو كيف أن أنماط التفكير (épistémè) تتغير عبر الحقب دون أن تكون هناك ضرورة عقلانية لذلك.[2]

الجينيالوجيا (Genealogy)

في مرحلته الثانية، خصوصًا في كتاب "المراقبة والمعاقبة" (1975)، يتبنى فوكو منهج الجينيالوجيا النيتشوي، ويهتم بتتبع الأصول التاريخية غير المتماسكة للمفاهيم الكبرى، كالعقاب، النظام، السيادة... إلخ. الغاية هي فضح التحولات الصامتة التي بنت النظام المعرفي–السلطوي الحديث.[3] فالجينيالوجيا هي تاريخٌ للصراعات والخطابات والهيمنات التي تُبلور ما نعتبره "طبيعيًا" أو "حقيقيًا".

[1] - Tobias Krarup, "Archaeological Methodology: Foucault and the History of Systems of Thought," *Theory, Culture & Society* 38, no. 5 (2021): 3–24, https://doi.org/10.1177/0263276420984528.

[2] - Rik Peters, “The Episteme and the Historical A Priori: On Foucault’s Archaeological Method,” Journal of French and Francophone Philosophy 29, no. 1–2 (2021): 109–129, https://doi.org/10.5195/jffp.2021.963.

[3] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, p 163 .

ثانياً: البناء الأنطولوجي للمفاهيم الاساسية لمقاربة فوكو

يُعد التصور الأنطولوجي لفوكو حول الواقع الدولي من أبرز الانعطافات في الفلسفة السياسية والاجتماعية المعاصرة، حيث تقوّض افتراضات الحداثة عن وجود واقع دولي موضوعي ومستقل عن السلطة والمعرفة. وبدلًا من النظر إلى الواقع الدولي كمسرح تتفاعل فيه دول ذات سيادة وفق مصالح عقلانية، يُعيد فوكو تشكيل فهمنا للواقع كنتاج شبكات معقدة من السلطة والخطاب.

الواقع كمنتج لسلطة–معرفة (Power/Knowledge)

لا تزال ما بعد الحداثة من أكثر النظريات إثارة للجدل في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد اتُهمت بانتظام بالتقصير الأخلاقي والسياسي. بل إنه بعد هجمات 11 سبتمبر الإرهابية، اتُهمت ما بعد الحداثة بميل خطير نحو الالتباس الأخلاقي، بل وحتى بالتعاطف مع الإرهاب. إن هذه الادعاءات السخيفة أثبتت افتراضاً محوريًا لما بعد الحداثة، وهو أن ادعاءات المعرفة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسياسة والسلطة[1] .

أراد فوكو أن يرى ما إذا كانت هناك مصفوفة مشتركة تربط بين مجالي المعرفة والسلطة. وفقًا لفوكو، ثمة اتساق عام، لا يمكن اختزاله في هوية واحدة، بين أساليب التفسير وعمليات السلطة. فالسلطة والمعرفة متداعمتان؛ فهما تُشيران مباشرةً إلى بعضهما البعض[2]

لذلك خلُص فوكو أن ما نعتبره "واقعًا" هو بناء تاريخي ومعرفي، تشكّل عبر تراكم خطابات وممارسات سلطوية أنتجت ما يُعرف لاحقًا بـ"الحقيقة". وبذلك، فالسلطة تُمارَس عبر القمع من جهة ، و عبر تشكيل المعرفة ذاتها من جهة أخرى . و هو بذلك يتجاوز مفهوم المركسية حول المعرفة ، اذ لا يعتبرها مجرد أيديولوجيا تبرر السلطة و انما هي جزء من آلية انتاجها ،

[1] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, p 161 .

[2] - Ibid .

مما يعني أن مفاهيم مثل: السيادة" "التهديد" "الأمن" "الهوية" "العدو" لا تعدو كونها منتجات لخطابات معينة تم ترسيخها داخل علاقات القوة .

رفض الواقع الموضوعي

على غرار جاك دريدا، يرفض ميشيل فوكو التصور الحداثي الذي يفترض وجود واقع موضوعي قائم بذاته يمكن كشفه وتحليله بأدوات علمية محايدة. فبالنسبة لفوكو، كل تحليل للواقع – بما في ذلك الواقع الدولي – يتم داخل شروط معرفية وتاريخية محددة، ويُعاد إنتاجه من خلال علاقات السلطة والمعرفة. فلا وجود لـ"وقائع طبيعية" خارج الخطاب؛ بل تُصاغ "التهديدات" و"المصالح" الدولية عبر شبكات لغوية ومؤسساتية تشمل الإعلام، والبيروقراطيات، والخبراء، ومراكز البحوث. وبذلك، تصبح اللغة والتأطيرات الخطابية قوة إنشائية تنتج الواقع نفسه، ضمن منظومة تتحكم فيها السلطة. وفي هذا السياق، يؤكد تحليل عربي معاصر أن الحقيقة ليست محايدة بل هي شكل من أشكال السلطة، ويكمن التحدي لا في تحرير الحقيقة من السلطة، بل في "فصل سلطة الحقيقة عن أشكال الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعمل الحقيقة آنيا في إطارها".[1]

الخطاب كأداة إنتاج للواقع الدولي

يُعتبر مفهوم الخطاب أداة مركزية في التحليل ما بعد البنيوي ، غير أن دلالته عند ميشيل فوكو تختلف عن تلك التي عند جاك دريدا. ففي حين يعتبر الخطاب في تفكيكية دريدا بنية لغوية غير مستقرة، تكشف عن الاختلاف والتأجيل في المعنى

نجد عند فوكو، أن الخطاب يُفهم كـ نظام معرفي منتج للحقيقة، يرتبط جوهريًا بالسلطة. أي أن الظواهر السياسة هي نتيجة لخطابات تشكلت داخل مؤسسات سياسية وأمنية وعلمية، تضبط ما يمكن التفكير فيه، وما يُعد تهديدًا، وما يُشرعن التدخل أو العنف. فوكو يحلل الظواهر

[1]- "المعرفة والسلطة أم سلطة المعرفة؟"، موقع بلاغ، نُشر في 24 أكتوبر 2021، https://bilarabiya.net/39155.html

كظاهرة الحرب بتتبع "جينيالوجيا الخطاب" ليكشف كيف تُنتَج مفاهيم مثل "الخطر" و"السيادة" و"العدو" داخل نظام معرفي يُكرّس ممارسة الحرب[1].

الخطاب الفوكوي هو نظام من الممارسات التي تُنتج مواضيعها. فمثلاً:

لا توجد "الدولة الفاشلة" قبل أن تُبنى خطابيًا كمشكلة أمنية.

لا يوجد "الإرهاب" ككيان موضوعي إلا عندما يُشكّل خطاب أمني يعرّفه، ويُسنّ القوانين بناء عليه، وتُخصّص له الميزانيات.

في ضوء هذا، تتحول دراسة العلاقات الدولية إلى دراسة لـ: كيف تُنتج الخطابات الأمنية معنى "الخطر"؟ كيف يتم تبرير التدخلات العسكرية تحت غطاء مفاهيم مثل "السلام"، "الاستقرار"، أو "الديمقراطية"؟

تفكيك مقولة الفاعل المركزي

يوسّع ميشيل فوكو مفهوم السلطة في العلاقات الدولية ليخترق التصور التقليدي للدولة كـ"فاعل مركزي" مهيمن. في أنطولوجيته، السلطة ليست محتكرة أو متمركزة في الدولة فقط، بل منتشرة (diffuse) في كل ميدان اجتماعي: المؤسسات، الإجراءات الإدارية، الإنتاج الأكاديمي، الخطاب القانوني، الإحصاء، وحتى المجال الطبي. فالسلطة تُمارس "من كل مكان"، تمتد داخل شبكة خطابية تقود تشكيل الواقع الدولي، بحيث تصبح "الوقائع" و"التهديدات" ناتجة عن طبيعة سلطة متداخلة وخطابية ضاغطة في آن واحد ،و تأكيدًا لهذه الرؤية، يشير مقال في موقع العربي إلى أن فوكو يرى السلطة كـ"شبكة من العلاقات" تتخلّلها الاستراتيجيات المتدفقة

[1] - Jenny Edkins, Poststructuralism and International Relations: Bringing the Political Back In (Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1999), 42–53.

في كل الميادين الاجتماعية: المستشفيات والمدارس والثكنات والمؤسسات الأكاديمية، ما يؤكد أن "السلطة ليست شيئًا يمتلكه أحد، و هي شبكة متشعبة من العلاقات[1]."

و يمكن تلخيص أنطولوجيا فوكو في العلاقات الدولية في ثلاث أطروحات مركزية:

الواقع السياسي لا يُعطى بل يُبنى خطابياً.

السلطة والمعرفة متداخلتان في إنتاج "الحقائق" الدولية.

التحليل لا ينطلق من الدولة أو النظام، بل من الشبكات الخطابية التي تُعيد تشكيل المعنى والفاعلية.

ثالثاً: الحروب من منظور فوكوي: تحليل للأبعاد الانطولوجية في المنظور

في مقابل النظريات التقليدية التي تبحث عن الأسباب الموضوعية للحروب في توازنات القوة أو صراعات المصالح، يُقدم ميشيل فوكو قراءة مغايرة تمامًا؛ فبدل أن يسأل: لماذا تقع الحرب؟، يسأل: كيف يُبنى تصور "الحرب" و"العدو" داخل منظومات معرفية؟

إنتاج المعرفة كمصدر للشرعية السياسية والعسكرية :

يرى فوكو أن المعرفة ليست حيادية، بل هي مشبعة بالسلطة، وتُنتج ضمن سياقات تهدف إلى التحكم. في هذا الإطار، تتحول "الحقائق" حول الأمن والتهديدات إلى أدوات تبرير للحرب.

ان أسباب الحرب من منظور ميشال فوكو، تتجاوز التصورات التقليدية التي ترى الحرب حدثًا استثنائيًا، ليقدمها كـ"علاقة قوة" مستمرة ومؤسسة للمجتمع والسياسة. فالحرب، في مقاربة فوكو، ليست نهاية السياسة بل هي "مصفوفتها الدائمة" التي تشكّل المؤسسات والقوانين وأشكال

[1]- محمد صباح، السلطة والمعرفة والجسد: مقاربة فوكو المتجددة للسلطة، «العربي القديم»، https://alarabialqadeem.com/foucault

المعرفة. تكمن أسباب الحرب الحقيقية في هذا الصراع الدائم وغير المتكافئ على السلطة الذي يسبق أي مواجهة مسلحة ويستمر بعدها، وغالبًا ما يخفي نفسه وراء خطابات الحق والقانون.[1]

يُبرز فوكو دور استراتيجيات السلطة والمعرفة (المعرفة–السلطة) في بناء "الآخر" العدائي. حيث تُنتج أجهزة السلطة (القضائية، العسكرية، الطبية، الأكاديمية) خطابات ومعارف تُصنّف السكان، وتُحدد "الأعداء" الداخليين والخارجيين، وتُبرر العنف ضدهم باسم الدفاع عن المجتمع أو نقاء العرق أو الأمن القومي. هذه الخطابات، مثل الخطاب العنصري البيولوجي، هي أدوات حرب غير مباشرة تُهيئ الأرضية الفكرية والأخلاقية للعنف المادي، وتُحوّل مجموعات بشرية إلى "تهديد" يجب القضاء عليه.[2]

دور الانضباط والمراقبة في تشكيل الفاعلين :

في كتابه "المراقبة والمعاقبة"، يُظهر فوكو كيف تحوّلت السلطة الحديثة من القمع المباشر إلى انضباط الأجساد وتنظيم السلوك. هذه الفكرة تنسحب على العلاقات الدولية، حيث يتم:

بناء الدول وفق معايير معينة (مثل الدولة "القادرة" أو "المدنية").إنتاج هويات سياسية تقبل بالتنميط والرقابة بدعوى الاستقرار والأمن.

تلعب آليات الانضباط والمجتمع الانضباطي دورًا حيويًا في تغذية أسباب الحرب. فالمجتمعات الانضباطية (السجون، الجيوش، المدارس، المصانع) تُنتج أفرادًا مُهيئين للطاعة والتنظيم الهرمي والعنف المنظم. هذه الآليات تُشكّل عقليةً تقبل بتقسيم العالم إلى أصدقاء/أعداء وتُبرّر العنف المؤسسي. تتغذى أسباب الحرب هنا من استعداد الأفراد المُنضبطين لتنفيذ أوامر العنف ضمن بنى هرمية، ومن ثقافة الانقسام والصراع التي تُعزّزها هذه المؤسسات، وهو ما يشير إليه

[1] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations
[2] - Ibid .

فوكو كـ"أمن الكتابة" و"تأريخ الحاضر" الذي يكشف كيف تُنتج المؤسسات الحديثة واقعًا يتغذى على القسر والصراع.[1]

التحليل الجينيالوجي لأرشيفات الحرب :

استخدم فوكو الجينيالوجيا لتحليل علاقات القوة في الدولة. ليستكشف خطابًا تاريخيًا سياسيًا يعود تاريخه إلى نهاية الحروب الأهلية والدينية في القرن السادس عشر، والذي اعتبر الحرب "علاقة اجتماعية دائمة، والأساس الراسخ لجميع علاقات ومؤسسات القوة"[2]

يُميّز فوكو هذا الخطاب من خلال قلب مقولة كلاوزفيتز الشهيرة: "السياسة هي استمرار للحرب بوسائل أخرى". يهدف فوكو إلى تحليل كيف أصبحت الحرب تُعتبر طريقةً مناسبةً لوصف السياسة. و يريد أن يعرف متى بدأ الفكر السياسي يتخيل، ربما بشكلٍ يخالف البديهة، أن الحرب تُشكل مبدأ لتحليل علاقات القوة داخل النظام السياسي.[3]

فوكو يدعو إلى العودة للأرشيفات، لتفكيك كيفية تكوّن مفاهيم مثل "العدو"، "التهديد"، "الحماية". فالحرب ليست معطىً بديهيًا، وانما هي: نتيجة تراكمات خطابية لأنظمة تصنيف وتحَكم

و كذلك هي ترجمة لسياسات "بيو–سياسية" تهدف إلى تنظيم السكان وإقصاء من يُشكل تهديدًا على "جسد الأمة"

رابعاً: حدود التصور الأنطولوجي لمقاربة فوكو

رغم التأثير الكبير الذي أحدثه ميشيل فوكو في الحقول المعرفية المختلفة، بما في ذلك العلاقات الدولية، إلا أن مقاربته لفهم أسباب الحروب تظل عرضة لجملة من الانتقادات، سواء من حيث منطلقها الأنطولوجي أو قدرتها التفسيرية. ويتركز النقد في النقاط التالية:

[1] - Michel Foucault, Discipline and Punish: The Birth of the Prison, trans. Alan Sheridan (New York: Vintage Books, 1995).

[2] - Richard Devetak, "Postmodernism" in Theories of International Relations, p 164 .

[3] - Ibid, p 165 .

تشتت الفاعلية وتغييب المسؤولية السياسية

إحدى أبرز الإشكالات التي تُطرح على الفكر الفوكوي هي تغييب مفهوم "الفاعل المركزي"، سواء أكان الدولة أو الفرد أو حتى النخب. في تصور فوكو السلطة لا تُمارَس من الأعلى إلى الأسفل. بل تنتشر بشكل لا شخصي (impersonnelle) داخل شبكات اجتماعية ومعرفية متداخلة. هذا التصور يُضعف إمكانية تحديد "من المسؤول عن الحرب"، لأنه لا يوجد فاعل واضح بل علاقات سلطوية غير متمركزة.

غياب التفسير السببي والاقتصادي

كما هو الحال مع التفكيكية، يُنتقد فوكو لكونه لا يُقدم تفسيرًا سببيًا مباشرًا للحروب، بل يُركّز على كيف يُنتج الخطاب معرفتنا بالحرب. ويهمل العوامل الاقتصادية والاستراتيجية التي تشكل محركًا واقعيًا للصراعات،

الاستغراق في الجينيالوجيا على حساب الواقع الحي

يركّز فوكو على الجينيالوجيا بوصفها منهجًا لتفكيك تاريخ المفاهيم، لكن التحليل الجينيالوجي غالبًا ما يتوقف عند البنى الرمزية والتاريخية، دون الانخراط في تحليل سياسي واقعي للصراعات الجارية. وهذا ما يجعل مقاربته تفتقر إلى البعد البراغماتي والسياسي الضروري لفهم الحروب المعاصرة.[1]

نقد استراتيجي أم تأمل نظري؟

يرى بعض الباحثين أن مقاربة فوكو تُقدم أدوات قوية لفهم كيف يُصاغ الخطاب السياسي والأمني، لكنها تُعاني من محدودية حين يتعلق الأمر ببناء بدائل سياسية أو استراتيجية.

[1] - Gabriel Rockhill, "Foucault, Genealogy, Counter-History," Theory & Event 23, no. 1 (January 2020): 85–119.

أي أن فوكو يُجيد التشخيص والتفكيك، لكنه لا يُقدّم دائمًا أرضية صلبة لإعادة البناء أو لتوجيه الفعل السياسي في سياق النزاع.

خلاصة الفصل :

كشف هذا الفصل عن التحول الأنطولوجي العميق الذي تقترحه المنظورات ما بعد الوضعية في مقاربتها لأسباب الحروب، وهو تحول يُعيد مركزية السؤال من الوقائع والمصالح إلى المعاني والبُنى المنتجة لها. حيث يتحول فهم الحرب من منظور هذه التيارات من نتيجة لصراع مادي، الى ظاهرة متجذرة في علاقات الهيمنة والخطابات التي تُعيد إنتاجها ضمن النظام الدولي.

من خلال استعراض النظرية النقدية، تبين بأوضح صورة كيف أن البنية الاقتصادية والاجتماعية للنظام العالمي تسهم في صناعة شروط الحرب، بينما أبرزت النظرية ما بعد الحداثية كيف تعمل السلطة والمعرفة على تشكيل المعنى السياسي للحرب وتبريرها عبر آليات رمزية ولغوية. هذه الرؤى تفتح المجال أمام إمكانيات تحررية لفهم الصراع لا على أساس الحتميات، بل على أساس التغيير الممكن.

وعليه، فإن المنظورات ما بعد الوضعية لا تقدم تفسيرًا تقليديًا لأسباب الحروب، بل تتيح أدوات لفهم أكثر عمقًا لجذورها البنيوية والثقافية، وتدعو إلى تفكيك المسلمات التي تُضفي على الحرب طابع الضرورة، من أجل بناء وعي نقدي قادر على تجاوزها.

الخاتمة

الخاتمة :

انطلقت هذه الدراسة من محاولة مساءلة الخلفيات الأنطولوجية التي تستند إليها التفسيرات النظرية لأسباب الحروب في حقل العلاقات الدولية، وذلك من خلال تفكيك التصورات الفلسفية التي تؤطر فهم كل منظور لطبيعة الفاعل، والعنف، والنظام الدولي. وقد سعت إلى تقديم قراءة تحليلية تُركّز على ما تفترضه النظرية مسبقًا بشأن الواقع الدولي ومكوناته.

في معرض الإجابة عن الإشكالية الرئيسية للدراسة، والتي تمحورت حول كيفية تفسير النظريات الكبرى لأسباب الحروب بناءً على تصوراتها الأنطولوجية، تبين أن ثمة تبايناً جوهرياً بين المنظورات النظرية الرئيسية في حقل العلاقات الدولية في تفسيرها لظاهرة الحرب ، يعكس هذا التباين بشكل حاسم تعدد الابعاد الانطولوجية للنظريات في تصورها للوجود الدولي .

وقد كشفت النتائج أن المنظورات الوضعية، كالواقعية والليبرالية، تنطلق من أنطولوجيا تُجسّد الواقع الدولي كحقل موضوعي قائم على الدولة القومية والمصلحة والقوة كعوامل حاسمة، وهو ما يؤدي بها إلى تبني تفسيرات سببية مباشرة للحرب، تركز على ميزان القوى، أو تراجع الردع، أو فشل المؤسسات.

في المقابل، تتبنى المنظورات ما بعد الوضعية أنطولوجيات بديلة، تعتبر أن الواقع الدولي ليس معطىً طبيعيًا بل مُشكَّل تاريخيًا وخطابيًا، وتعيد مساءلة المفاهيم التقليدية للسلطة، والفاعلية، والنزاع. وهكذا، ترتكز تفسيراتها للحرب على أنماط الهيمنة الثقافية، أو الخطابات الإقصائية، أو شبكات المعرفة والسلطة.

و يمكن تلخيص هذه النتائج في :

- أهمية الأنطولوجيا: تلعب الافتراضات حول طبيعة الواقع الدولي دوراً محورياً في تشكيل التفسيرات النظرية.

- تعدد التفسيرات: لا يوجد تفسير واحد لأسباب الحرب، اذ تتعدد التفسيرات وفق الأنطولوجيا الكامنة وراء كل نظرية.
- التفاعل بين المادي والرمزي: بينما تركز الوضعية على العوامل المادية، تبرز ما بعد الوضعية دور الأفكار والهويات في تشكيل الصراع

إن القيمة المعرفية لهذه الدراسة تكمن في نقل النقاش حول الحرب من مستوى التحليل السببي المباشر إلى مستوى أنطولوجي أعمق، يكشف عن جذور الافتراضات النظرية التي تُشكّل تصورنا لماهية الحرب، ومن ثم طبيعة العنف المولد لها. كما تسهم في سد فراغ بحثي واضح في الأدبيات العربية، من خلال تقديم إطار تحليلي يربط بين النظرية الفلسفية والتفسير السياسي للصراع.

مع ذلك، تظل هذه الدراسة محكومة بجملة من الحدود، أبرزها طابعها النظري وعدم انخراطها في دراسات حالة تطبيقية، فضلًا عن اتساع الطيف النظري الذي اقتصر التحليل فيه على أبرز المنظورات فقط. كما شكّلت الطبيعة المجردة لمفهوم الأنطولوجيا تحديًا إضافيًا تطلب جهدًا مضاعفًا في ضبط المفاهيم وتحديد السياقات النظرية.

التوصيات :

إن هذه الدراسة تفتح المجال أمام مزيد من الأبحاث التي تتناول العلاقة بين الأنطولوجيا والسياسات الدولية، لاسيما في ظل عالم يشهد تحولات متسارعة في أنماط النزاع ومعايير الفاعلية. فالحرب كظاهرة وجودية تنطوي على أسئلة أعمق مما يبدو على السطح، تتطلب منا أن نعيد التفكير في أسبابها و في الشروط التي تجعلها ممكن الحدوث ، و عليه تنتهي الدراسة الى مجموعة توصيات تتمثل في :

1-على المستوى الأكاديمي:

تعميق الدراسات التحليلة بين المنظورات الوضعية وما بعد الوضعية في تحليل الصراعات المعاصرة.

دمج الأبعاد الأنطولوجية في مناهج العلاقات الدولية لفهم أعمق للنظريات وتطبيقاتها.

تطوير مقاربات بأنطولوجية مرنة تدمج بين ماهو مادي و ماهو رمزي

2- على المستوى السياسي:

اعتماد مقاربات شاملة تجمع بين العوامل المادية (كالقوة العسكرية) والرمزية (كالهوية والخطاب) في تحليل الصراعات.

تطوير آليات دبلوماسية تستند إلى فهم أعمق للدوافع الاجتماعية والثقافية للصراع، وليس فقط العوامل الجيوسياسية.

3- على مستوى البحوث المستقبلية:

توسيع نطاق الدراسة ليشمل نظريات أخرى كالماركسية و النسوية والبنائية و النظرية الخضراء.

تطبيق الإطار الأنطولوجي على دراسات حالة محددة (كالحرب في أوكرانيا أو الصراع الفلسطيني مع الكيان)

قائمة المصادر و المراجع :

أولا/- المراجع باللغة العربية :

أ/- الكتب :

1- ابن رشد. فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال. تحقيق محمد عمارة. القاهرة: دار المعارف، 1972.

2- ابن سينا. الشفاء: الإلهيات. دون بيانات نشر.

3- أنور، محمد فرج. النظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة. السليمانية: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2008.

4- باتلر، إيمون. مدخل إلى الليبرالية الكلاسيكية. ترجمة جماعية، مراجعة أحمد رضا. بيت الحكمة، 2015.

5- بومنير، كمال. النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيت. ط 1. الجزائر: منشورات الاختلاف، 2010.

6- جونس، بيليس، وستيف سميث. عولمة السياسة العالمية. ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، ط. 1، 2004.

7- دورتي، جيمس، وروبرت بالتسغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية. ترجمة وليد عبد الحي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.

8- هاو، آلن. النظرية النقدية. ترجمة ثائر ديب. ط 1. القاهرة: دار العين، 2010.

9- هنترميد، وليم .الفلسفة: أنواعها ومشكلاتها .ترجمة فؤاد زكريا. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2022.

10- ناي، جوزيف. المنازعات الدولية: مقدمة للنظرية والتاريخ. ترجمة أحمد أمين الجمل ومجدي كامل. القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط 1، 1997.

ب/- الدوريات و المجلات :

11- أبوزيد، محمد أحمد. "نظريات العلاقات الدولية والحرب: مراجعة للأدبيات." مجلة الناقد للدراسات السياسية، العدد الأول (أكتوبر 2017).

12–فرحة، محمد. "الأنطولوجيا: النشأة والتطور والنضج." مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية 32، عدد 4 (2010).

ج/– الرسائل الجامعية :

13–بن قانة، محمد الأمين. المشروع ما بعد الحداثي في التنظير للعلاقات الدولية. مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، 2015.

14–عديلة، محمد الطاهر .*تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس* .أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة باتنة، 2015.

د/– القواميس و المعاجم :

15–البعلبكي، منير، ورمزي منير البعلبكي. المورد الحديث: قاموس إنكليزي–عربي. بيروت: دار العلم للملايين، 2015.

16–الحفني، عبد المنعم .*المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة* .ط. 3. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000.

17–لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الثاني. بيروت: منشورات عويدات، 2008.

هـ/– المخطوطات :

18–ابن رشد .*تفسير ما بعد الطبيعة* .رقم المحفوظة.PP1003/23

و/– المحاضرات :

19–وهبان، أحمد محمد. "النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنثاو إلى ميرشايمر: دراسة تقويمية." كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية.

20–عاشور، سليم. "سلسلة محاضرات مقياس تحليل النزاعات الدولية." كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة المسيلة.

ز/- المواقع الاكترونية :

21-المعرفة والسلطة أم سلطة المعرفة؟" موقع بلاغ، نُشر في 24 أكتوبر 2021 .
https://bilarabiya.net/39155.html.

22-صباح، محمد. "السلطة والمعرفة والجسد: مقاربة فوكو المتجددة للسلطة ".العربي القديم .
https://alarabialqadeem.com/foucault.

ثانيا/- المراجع باللغة الإنجليزية :

أ/- الكتب :

23-Angell, Norman. *The Great Illusion: A Study of the Relation of Military Power in Nations to Their Economic and Social Advantage.* New York and London: G. P. Putnam's Sons, 1910.

24-Aquinas, Thomas. *Summa Theologiae.* Translated by the Fathers of the English Dominican Province. New York: Benziger Brothers, 1947.

25-Bieler, Andreas, and Adam David Morton. *Global Capitalism, Global War, Global Crisis.* Cambridge: Cambridge University Press, 2018.

26-Brown, Seyom. *The Causes and Prevention of War.* New York: St. Martin's Press, 1987.

27-Burchill, Scott, et al., eds. *Theories of International Relations.* 3rd ed. New York: Palgrave Macmillan, 2005.

28-Bull, Hedley. *The Anarchical Society: A Study of Order in World Politics.* London: The Macmillan Press Ltd, 1977.

29-Calhoun, Craig, ed. *Habermas and the Public Sphere.* Cambridge, MA: MIT Press, 1992.

30-Campbell, David. *National Deconstruction: Violence, Identity, and Justice in Bosnia.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1998.

31-Campbell, David. *Writing Security: United States Foreign Policy and the Politics of Identity.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1992.

32-Cashman, Greg. *What Causes War? An Introduction to Theories of International Conflict.* 2nd ed. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2014.

33-Cox, Robert W. *Production, Power and World Order: Social Forces in the Making of History.* New York: Columbia University Press, 1987.

34-Cox, Robert W., with Timothy J. Sinclair. *Approaches to World Order.* Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

35-Dunne, Tim, Milja Kurki, and Steve Smith, eds. *International Relations Theories: Discipline and Diversity.* 3rd ed. Oxford: Oxford University Press,2013.

36-Edkins, Jenny. *Poststructuralism and International Relations: Bringing the Political Back In.* Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers, 1999.

37-Foucault, Michel. *Discipline and Punish: The Birth of the Prison.* Translated by Alan Sheridan. New York: Vintage Books, 1995.

38-Gill, Stephen, ed. *Gramsci, Historical Materialism and International Relations.* Cambridge: Cambridge University Press, 1993.

39-Gill, Stephen. *Power and Resistance in the New World Order.* New York: Palgrave Macmillan, 2003.

40-Gramsci, Antonio. *Selections from the Prison Notebooks.* Edited and translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith. New York: International Publishers, 1971.

41-Habermas, Jürgen. *Between Facts and Norms: Contributions to a Discourse Theory of Law and Democracy.* Translated by William Rehg. Cambridge: MIT Press, 1996.

42-Habermas, Jürgen. *The Theory of Communicative Action, Vol. 1: Reason and the Rationalization of Society.* Translated by Thomas McCarthy. Boston: Beacon Press, 1984.

43-Horkheimer, Max. *Eclipse of Reason.* New York: Oxford University Press, 1947.

44-Horkheimer, Max, and Theodor W. Adorno. *Dialectic of Enlightenment.* Translated by Edmund Jephcott. Stanford: Stanford University Press, 2002.

45-Hutchings, Kimberly. *International Political Theory: Rethinking Ethics in a Global Era.* London: SAGE Publications, 1999.

46-Kellner, Douglas. *Critical Theory, Marxism and Modernity.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1989.

47-Kelman, Herbert. "Social-Psychological Dimensions of International Conflict." In *Peacemaking in International Conflict: Methods and Techniques*, rev. ed., edited by I. William Zartman. Washington, DC: United States Institute of Peace, 2007.

48-Keohane, Robert O., ed. *Neorealism and Its Critics.* New York: Columbia University Press, 1986.

49-Keohane, Robert O., and Joseph S. Nye. *Power and Interdependence.* 4th ed. Boston: Longman, 2012.

51-Levy, Jack. *War in the Modern Great Power System: 1495-1975.* Lexington: University Press of Kentucky, 1983.

52-Levy, Jack, and William Thompson. *Causes of War.* New York: Wiley-Blackwell, 2010.

53-Linklater, Andrew. *The Problem of Harm in World Politics: Theoretical Investigations.* Cambridge Studies in International Relations. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.

54-Linklater, Andrew. *The Transformation of Political Community.* Cambridge: Polity Press, 1998.

55-Marsh, David, and Gerry Stoker, eds. *Theory and Methods in Political Science.* 3rd ed. Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2010.

56-Morgenthau, Hans J. *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace.* 6th ed. New York: Alfred A. Knopf, 1985.

57-Roach, Steven C., ed. *Critical Theory and International Relations: A Reader.* New York: Routledge, 2008.

58-Rodan, Garry, and Kevin Hewison. *Neoliberalism and Conflict in Asia After 9/11.* London: Routledge, 2006.

59-Rupert, Mark. *Producing Hegemony: The Politics of Mass Production and American Global Power.* Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

60-Sarkees, Meredith Reid, and Frank Whelon Wayman. *Resort to War: A Data Guide to Inter-State, Extra-State, Intra-State, and Non-State Wars, 1816-2007.* Washington, DC: CQ Press, 2010.

61-Smith, Steve, Ken Booth, and Marysia Zalewski, eds. *International Theory: Positivism and Beyond.* Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

62-Szanto, Balazs. *War and International Relations: A Critical Analysis.* London and New York: Routledge, 2022.

63-van de Haar, Edwin. *Classical Liberalism and International Relations Theory.* New York: Palgrave Macmillan, 2009.

64-van de Haar, Edwin. *Human Nature and World Affairs: An Introduction to Classical Liberalism and International Relations Theory.* London: Institute of Economic Affairs, 2023.

65-Wyn Jones, Richard. *Security, Strategy, and Critical Theory.* Boulder, CO: Lynne Rienner, 1999.

ب/- الدوريات و المجلات :

66-Bieler, Andreas, and Adam David Morton. “Theoretical and Methodological Challenges of Neo-Gramscian Perspectives in International Political Economy.” *International Gramsci Journal* 2, no. 1 (2016).

67-Burton, John W. "Conflict Resolution: The Human Dimension." *The International Journal of Peace Studies* 3, no. 1 (1998).

68-Cox, Robert. "Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory." *Millennium: Journal of International Studies* 10, no. 2 (1981).

69-Dalby, Simon. “Geopolitical Discourse: The Soviet Union as Other.” *Alternatives* 18, no. 3 (1993).

70-Geller, Daniel S., and Konstantinos Travlos. "Integrating Realist and Neoliberal Theories of War." *Peace Economics, Peace Science and Public Policy* 25, no. 2 (2019).

71-Gill, Stephen, and David Law. "Global Hegemony and the Structural Power of Capital." *International Studies Quarterly* 33, no. 4 (1989).

72-Hamilton, Scott. "A Genealogy of Metatheory in IR: How 'Ontology' Emerged from the Inter-Paradigm Debate." *International Theory* 9, no. 1 (2017).

73-Linklater, Andrew. "Dialogic Politics and the Civilising Process." *Review of International Studies* 31 (2005): 141-154.

74-Linklater, Andrew. "The Question of the Next Stage in International Relations Theory: A Critical-Theoretical Point of View." *Millennium: Journal of International Studies* 21, no. 1 (1992).

75-Mansfield, Edward D., and Jack Snyder. "Democratization and the Danger of War." *International Security* 20, no. 1 (Summer 1995).

76-Mearsheimer, John J. "Reckless States and Realism." *International Relations* 23, no. 2 (June 2009).

78-Mearsheimer, John J. "The False Promise of International Institutions." *International Security* 19, no. 3 (Winter 1994-1995).

79-Mead, Margaret. "Warfare Is Only an Invention—Not a Biological Necessity." *Asia*, no. 15 (1940).

80-Moravcsik, Andrew. *Liberalism and International Relations Theory.* Paper No. 92-6. Cambridge, MA: Center for European Studies, Harvard University, 1992.

81-Mueller, John. "War Has Almost Ceased to Exist: An Assessment." *Political Science Quarterly* 124, no. 2 (2009).

82-Oneal, John R., and Bruce Russett. "The Classical Liberals Were Right: Democracy, Interdependence, and International Conflict, 1950–1985." *International Studies Quarterly* 41, no. 2 (June 1997).

83-Rockhill, Gabriel. "Foucault, Genealogy, Counter-History." *Theory & Event* 23, no. 1 (January 2020): 85–119.

84-Sambanis, Nicholas. "What Is Civil War? Conceptual and Empirical Complexities of an Operational Definition." *Journal of Conflict Resolution* 48, no. 6 (December 2004).

85-Shimko, Keith L. "Realism, Neorealism, and American Liberalism." *The Review of Politics* 54, no. 2 (Spring 1992).

ج/- المواقع الاكترونية :

86- Cain Andy , what is Ontology ,online artical on : https://www.perlego.com/knowledge/study-guides/what-is-ontology/

87-Gasparini, Amedeo. "Free-Trade, Institutionalism, and Cooperation: Classical Liberalism's Theoretical Elements to Prevent War." *Opinio Juris*. Last modified April 24, 2023. https://www.opiniojuris.it/opinio/free-trade-institutionalism-and-cooperation-classical-liberalism-theoretical-elements-to-prevent-war/.

88-"Liberalism (International Relations)." Wikipedia. Last modified May 10, 2024. https://en.wikipedia.org/wiki/Liberalism_(international_relations).

89-Krarup, Tobias. "Archaeological Methodology: Foucault and the History of Systems of Thought." Theory, Culture & Society 38, no. 5 (2021): 3–24. https://doi.org/10.1177/0263276420984528.

90-Peters, Rik. “The Episteme and the Historical A Priori: On Foucault’s Archaeological Method.” Journal of French and Francophone Philosophy 29, no. 1–2 (2021): 109–129. https://doi.org/10.5195/jffp.2021.963.

مقدمة	01
الفصل الأول : الحدود المفاهيمية لأنطولوجيا الحرب	18
المبحث الأول :مفهوم الانطولوجيا	19
المطلب الأول :الانطولوجيا: دراسة في المصطلح و الجذور	19
المطلب الثاني : أنماط المقاربات الانطولوجية و علاقتها بالابستيمولوجيا	26
المبحث الثاني : مفهوم الحرب في أدبيات العلاقات الدولية	31
المطلب الأول :مفهوم الحرب في الفكر الوضعي	31
المطلب الثاني :مفهوم الحرب في الفكر مابعد الوضعي	34
الفصل الثاني :الدلالات الانطولوجية لظاهرة الحروب في المنظورات الوضعية	40
المبحث الاول : الانطولوجيا الواقعية: الصراع و الفوضى كجوهر الوجود الدولي	41
المطلب الاول : الانطولوجيا التشاؤمية للطبيعة البشرية في الواقعية الكلاسيكية	41
المطلب الثاني : الفوضى كحتمية انطولوجية في الواقعية الجديدة	46
المبحث الثاني : الانطولوجيا الليبرالية : التعاون بنية وجودية تحقق السلام	51
المطلب الاول : الفرد أساس الوجود السلمي في الليبرالية الكلاسيكية	52
المطلب الثاني :المؤسسات مرتكز أنطولوجيا السلم في الليبرالية الجديدة	61
الفصل الثالث : المضامين الانطولوجية لأسباب الحرب في المنظورات مابعد الوضعية	72
المبحث الاول :الأنطولوجيا النقدية :الحرب كنتيجة لهيمنة الأنساق واستدامة اللاعدالة	73
المطلب الأول : المطلب الأول :الأنطولوجيا التحررية للعقل التواصلي في النقدية المعيارية	73
المطلب الثاني :الأنطولوجيا البنيوية للهيمنة والصراع في النقدية النيوغرامشية	81
المبحث الثاني : الأنطولوجيا ما بعد الحداثية :الحرب كنتاج للمعرفة والتمثيل الخطابي	88
المطلب الأول :الحرب من منظور التفكيك الخطابي عند جاك دريدا	88
المطلب الثاني :جينيالوجيا السلطة والمعرفة وتشكيل أسباب الحروب عند ميشيل فوكو	95
الخاتمة	106
قائمة المصادر و المراجع	109
الفهرس العام	119
الملخص	120

الملخص :

تناولت هذه الدراسة موضوع "الأبعاد الأنطولوجية لأسباب الحروب في منظورات العلاقات الدولية"، وذلك في إطار السعي لفهم كيف تؤثر التصورات الفلسفية العميقة حول الواقع، والفاعل، والنظام الدولي على تفسير النظريات الكبرى لظاهرة الحرب. انطلقت الدراسة من إشكالية رئيسية تسائل الخلفيات الوجودية الكامنة في النظريات الوضعية وما بعد الوضعية، من خلال تحليل كيفية تشكّل مفاهيم مثل الدولة، القوة، العنف، والهوية داخل كل منظور. وقد بينت الدراسة أن تباين تفسيرات الحرب يرجع إلى اختلاف أنطولوجي في تصور "ما هو العالم" و"ما الذي يجعل الحرب ممكنة". وعبر ثلاثة فصول مترابطة، امتدت من التأصيل المفاهيمي إلى التحليل النظري، أبرزت المذكرة كيف تُنتج كل نظرية أسبابًا للحرب تنسجم مع تصوّرها الخاص لطبيعة الواقع الدولي. وخلصت الدراسة إلى أن مساءلة الأبعاد الأنطولوجية تفتح آفاق لتحليلات نقدية تتجاوز التفسيرات الخطية، ويدعو إلى إعادة التفكير في أسس النظرية والممارسة داخل العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية :

الانطولوجيا ، الحرب ، نظريات العلاقات الدولية

Abstract :

This study explores the topic of *"The Ontological Dimensions of the Causes of War in International Relations Perspectives"*, aiming to understand how deep philosophical conceptions of reality, agency, and the international system shape the major theoretical interpretations of war. The research began with a central question that interrogates the ontological foundations underlying both positivist and post-positivist theories, by analyzing how concepts such as the state, power, violence, and identity are constructed within each perspective. The study demonstrates that the divergence in explanations of war stems from fundamental ontological differences regarding "what the world is" and "what makes war possible." Through three interconnected chapters, moving from conceptual grounding to theoretical analysis, the dissertation illustrates how each theory generates causes of war consistent with its unique understanding of international reality. The study concludes that examining ontological dimensions opens the door to critical approaches that transcend linear explanations, inviting a rethinking of both theoretical foundations and practical applications within the field of international relations.

Keywords:

Ontology, War, International Relations Theories